الإشارات العلمية
في الأحاديث النبوية

(دراسة في المنهج)

أ.د / كارم السيد غنيم

أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر

مقرر لجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو المجمع المصرى للثقافة العلمية

أمين جمعية الإعجاز العلمى للقرآن والسنة

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

رقم الإيداع
٢٠٠٥/١٧٤٣٨

تقديـــم

* * *

بقلم : أ.د/ عبد الباسط محمد سيد(*)

بســم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي علم المتعلمين وثقف المثقفين...وبعد ،،،

فلقـد شـرفت بقراءة هذا الكتاب ، وهو على صغر حجمه ، فإنه عظـيم القـدر، عالى القيمة ، ففيه استقراء علمى وإجابة عن كثير من الأسئلة التي تدور في أذهان العلماء الماديين ، انه لعبادة لله في محراب العلـم ، يعمهـا نـور البصـر والبصيرة... إن هذه المشكاة بفصـولها المخـتلفة ، وهـذا القبس بصفحاته المتوالية ، لتعجز الكلمات عن حمل المعانـي التـي تحـتويها كل صفحة فيها ، لأنها بحق تخاطب النفوس الراضـية المرضية ، بل والكاملة... فالقداسة ليست أن تكون نورا وأنت مخلوق من نور ، وإنما القداسة أن تكون نورا وأنت مخلوق من طين...

لقـد صـحبت مؤلـف هذا الكتاب في عدد من الأنشطة الخيرية ، وترافقـنا فـي كثـير من الأعمال الثقافية ، وتآلفنا في بعض الفاعليات الدعوية ، فشعرت بنور قلبه يكسو وجهه ، فلا غرابة ، إذن ، أن تكون كلمـات وصـفحات هـذا الكتاب لصاحبه الأستاذ الفاضل والعالم الجليل الأسـتاذ الدكـتور/ كارم السيد غنيم ، دعوة للإحسان ، والإحسان هو – باختصـار – الإتقـان ... ولا أبـالغ إذا قلت : إن كلمات وصفحات هذا

(*) أستاذ بالمركز القومي للبحوث ، ورئيس قسم الكيمياء الحيوية (سابقا) به ، عضـو المجلـس الأعلـى للشئون الإسلامية ، رئيس مجلس إدارة جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمصر .

العمل الطيب تشع نورا ، كيف لا وهو حول كلام سيد الأولين والآخرين ، ساعيا في نشر نور النبوة وكلام صاحب الرسالة ، وهو يبحث ويقنن في الإشارات العلمية للأحاديث النبوية ، احتراما لها وحبا في صاحبها ﷺ...

يتميز هذا الكتاب بالإيجاز غير المخل ، والتوضيح والإبانة ، في نفس الوقت ، ولا يستغني عنه باحث في الإشارات الكونية والطبية ، ولا يتركه دارس للجوانب العلمية في الأحاديث النبوية ، بل ولا يجب أن يفوت أي مهتم بهذه الأمور الاطلاع عليه... ولا أكون مبالغا إذا قلت : إن صاحب هذا الكتاب ليعد واحدا من الناسكين في محراب العلم ، المتبتلين لله في جنباته ، ولقد كان استقراؤه في دراسته هذه مبنياعلى الأدلة العلمية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ...

اللهم ارزقنا علما نافعا وعملا متقبلا ، واستر عوراتنا وآمن روعاتنا وفرج كروبنا واغفر ذنوبنا وأحسن خلاصنا... رب عجز الطبيب فداونا ، وقلت الحيلة فتولنا... كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا العلم الفياض ، وبهذا الجهد المخلص ، الإسلام والمسلمين ، وأن يزيد من عطاء صاحبه وأن يجزل له الثواب ، وأن يجعله ممن طال عمره وحسن عمله...

وختاما ، فإن هذا الفكر الرائق لهو مشعل من الهداية الربانية ، ونور من المشكاة النبوية ، وجهد طيب جدير بأن يرى طريقه إلى النشر في أقرب فرصة لينتفع به الناس عامة ، والمهتمون بحديث المصطفى ﷺ بخاصة... والله من وراء القصد ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ صدق الله العظيم ...

أ.د/ عبد الباسط محمد سيد

الجيزة في : ١٣ ربيع آخر ١٤٢٥هـ

الأول من يونيو ٢٠٠٤م

تقديـــم

* * *

بقلم : **الدكتور / السيد الجميلي**(*)

الحمـــد لله والصـــلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ... وبعد فإنـــنى إبـــان كنـــت ضـــابطا وكبير أطباء بالقوات المسلحة في أواسط الســـبعينيات في القرن العشرين الميلادي – قد عشت تجربة روحية على أعلـــى المســـتويات ... في غضون تلك الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا ، وفـــي ذات الوقت كانت فترة خصيبة بالنسبة لي في أدق مراحل وأطوار عمري ، إذ إنني انقطعت فيها انقطاعاً كلياً ، وتجردت تجرداً كاملاً لعملي العســـكري طبـــياً ، أو عملي الطبي عسكرياً ، وذلك بالتوازي مع الإيغال والـــتوغل والإكـــباب علـــى تأليف الكتب ، وكنت قبل ذلك مكتفيا بتحرير أبواب ثابتة في مجلات مختلفة ، ومقالات متنوعة في صحف عدة ...

وطفقـــت أصـــنع خـــريطة علمية وأجندة عملية ومحددات حاسمة للموســـوعة الإســـلامية الكبرى ، وهى التي انطوت على عناوين مبتكرة

(*) استشـــاري الأمراض الباطنية والقلب ، ومستشار أمراض الكبد والسكر ، وعضـــو جمعـــية الإعجـــاز العلمي للقرآن والسنة ، وصاحب العشرات من المؤلفـــات في مجالات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ، والفكر الإسلامي ، والفقه الإسلامي ، وتحقيق التراث ، ومئات المقالات والبحوث المنشورة في هذه المجالات ...

لأول مرة غير المسبوق إليها ولا فيها ، بما حوته من مضامين تثار على الساحة وقتذاك بغير مقدمات سالفة .

وقد شهد أعلام العصر وقتها بأن مؤلف هذه الموسوعة هو الرائد الأول الذى فتح الباب لهذه المجالات أمام الباحثين ، وهذا كله موثق تاريخياً بأدلة قواطع وبراهين بينات ...

* كان أول مفردات هذه الموسوعة كتابنا : "الإعجاز الطبي في القرآن " ، بتقديم الشيخ محمد متولى الشعراوى (١٩٧٧م) . ثم قدم لطبعته اللبنانية البحاثة الأديب شيخ المحققين / إبراهيم الإبياري (١٩٨٢ م) ، ثم تعددت نشراته ، الشرعية المصورة والمزورة ، في مختلف أقطار العالم ، وترجم إلى لغات شتى غير العربية ، وفى آخر طبعاته قارب حجمه الألف صفحة .

وقد توقف عنده كبار أعلام العصر ، من علماء وأطباء وباحثين ، ونوهوا عنه وأحالوا عليه ... وكان - ولايزال - مصدراً وثيقا ومرجعا لرسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف الأحوال ، وتحت أيدينا عديدا من الرسائل الجامعية شاهد حق وصدق علي أن هذا الكتاب هو أول عنوان مبتكر لهذا المؤلف الرائد في هذا المجال ...

نقول هذا في استحياء بالغ ، ولم يسبق لنا التصريح بهذا ، وقد صدر الكتاب منذ ثمان وعشرين سنة ... ونحن مضطرون إلى هذا لما تساقط إلى أسماعنا من جهات عديدة أن هناك من يزعمون أنهم الرواد في هذا المضمار ، ولم يتعد تاريخهم بضع سنوات معدودة ، فهم يحاولون اختلاق بطولات وهمية في هذا الميدان ، ولكنهم يلعبون خارج

الملعب ، بابتداع خيالات من وحى أحلام اليقظة والمراهقة الفكرية ، وأعمال محدثة مدخولة ، أفكار منحولة ، ومرسلات منقولة ...

ونحن نقطع بأن التاريخ بالمرصاد ، فهو وحده بحقائقه ووثائقه وأحداثه وحدثائه كفيل بحسم الأمر وإسكات الدعاوى الهابطة وإفحام اللجاجات الخاوية من المضمون بلسان الصدق الذي فيه يمترون . ونحن – بحمد الله – معافون من النرجسية وتفخيم الذات ، وتضخيم المواقف والمتاع بالتهاويل السطحية ، ولكننا نحترم الصدق والحق الذى أمرنا الله باتباعه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة/١١٩].

ونحن ندرك أننا أضعف في نفوسنا مما يتصورون ، ولكن الفضل كله معزو لله تعالى وتوفيقه وتسديده نتيجة توحيده المحض والإخلاص له والتوكل عليه وصدق التوجه إليه ... ونحن لا ننتقص إنسانا حقه ولا نبخس منه شيئا ولا نجحد فضلا لمتقدم ، ولا ننعى على متأخر مليم غير معذور .

* في أواخر سنة (١٩٧٧م) صدر كتابي الثاني : " إعجاز الطب النبوى " ، وقد قدم له أستاذى وصديقي الدكتور/ حسين مؤنس (رئيس تحرير مجلة الهلال ، وأستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة القاهرة) وكنت وقتذاك محررا بمجلة الهلال لباب ثابت بها .

* أما " الإعجاز الفكري في القرآن " فقد صدر في عام (١٩٧٩م) ، وظهرت له طبعات أخرى لبنانية (١٩٨١م) ، وجزائرية (١٩٨٧م) ، وغيرها .

* وصــدر " الإعجــاز الكوني في القرآن " في عام (١٩٧٩م) ، وظهــرت له طــبعات أخرى لبنانية (١٩٨٣م) ، وجزائرية (١٩٨٧م) ، وغيرها وغيرها .

* وصدرت الطبعة الأولى لكتابنا " الإعجاز العلمي في القرآن " في عــام (١٩٨٢م) ، وظهــرت له طبعات لبنانية (١٩٨٢م) ، وإماراتية ، وغيرها وغيرها .

ولقد طبعت ونشرت هذه الموسوعة بمفرداتها الخمسة منفردة في مخــتلف الــبلدان ، ووافانــا القراء والباحثون والعلماء من أقطار العالم بشــهادات يضــيق الحصــر ، ويضــيق المقام ، عن الإشارة إليها ، أو الإشادة بها .

لقــد وضــعت الخطة ورسمت المنهج والطريق الذى أعرج عليه وأســلكه ســبيلا لتحقيق مرجوي ومأمولي من هذه الموسوعة ؛ لتكون فتحا جديدا لمنهج جديد ، وعصر جديد متجدد في مجال البحث الإسلامي.

ولا أنســى ذلكــم العالم الفاضل والباحث المفكر الموقر الذى كان نجمــه ســاطعاً وبدره متألقاً في السبعينيات من القرن العشرين الماضي بكتبه الرائعة المعروفة ، وكان أشهر من الشمس في وضح النهار – لن أنســى أنــه كــان من أوائل الذين هنأوا بموسوعتنا في الإعجاز بإبداء الإعجــاب الشديد بما تناولته في جدة وتمكين ، وذهــبت لشكره وتلقاني فــي بيــته (٨٠ شارع قصر العيني) بحفاوة لا مثيل لها – رحمه الله وطيــب ثــراه – إنه الدكتور/ عبد الرزاق نوفل ... الشهير الجهير الذى

لازال حـيا بيننا هذه الأيام التي افتقدنا ظله معنا فيها ، وإن كان حاضراً بروحه ونفحاته وإخلاصه ، وتواضعه وصدقه وإيمانه ...

وإن كنـت لم أفكر يوما ما في وضع منهج علمي يسير الباحثون علي خطاه ، يتأثروه ويتأثروا به ، ويسايرون طريقه عند التصدي للبحث فـي مستجدات " الإعجاز العلمي في القرآن " ، فلقد استمر تأكيدنا له ، وتنبيهاتـنا المـتواترة علـى هـذا والتمسك المتجدد بضرورة الانسباك والانضـباط الحاسم على المنهج العلمي ، ومراعاة مقتضيات هذا المنهج بكـل حيثـياته وتحفظاتـه ومحاذيره .. وهذه الملاحظات مدونة محررة مسطورة في عشرات الكتب من مؤلفاتنا المختلفة ، لكنها شذرات متفرقة هنا وهناك ، لا يجمعها جامع في كتاب واحد .

وكـان وراء هـذا – من منظوري الخاص – أن الباحثين في هذا المضـمار قليل ، لا يكاد يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة ... لكن الوضـع الآن صار مختلفا تماماً ، لاسيما بعد أن تراقي الأمر ، وتكاثف الحـد ، واشـتدت العارضة ، وصرنا نطالّع كل يوم بأسماء ناهضة من الأشـبال الواعديـن أو الشـيوخ الناشـطين الذين يحاولون مشكورين مأجوريـن أن يسهموا بمشاركة ، مع حسن النية وسلامة القصد ، لكن يقعـد – بهم في كثير من الأحيان – عدم وضوح الرؤية الموضوعية ، مما يترتب عليه كثرة الخبط والخلط والتوهم ، مما يتأدى معه الأمر إلى عسر الاهتداء إلى النتائج الصحيحة والمرادات المستهدفة ، وذلك لفقدان المحجة والمنهج ووعورة المسلك ووعوثة المأتي ...

لذلــك كــان لابد من وضع منهج مبسط ، يحدد الأبعاد والفواصل والمحــددات بالضــوابط العلمــية ، والتحفظات الشرعية ، والاحتياطات البحثــية ، تجنــبا للــزلل ، وتفادياً للوقوع في المحاذير ، لذلك صارت الحاجــة ملحــة وضرورية في رسم هذا المنهج الدقيق للاقتراب من هذا الباب العالى والسدة السنية ، لهذه القلعة الحصينة لارتياد آفاقها ، وسبر أغوارهــا ، وفض خاتمها المصون ، والادّراع بالأدوات الحيوية التي لا مصرف عنها ، ولا مندوحه عن الإلمام بها ، والإحاطة بأطرافها ، مثل : علوم اللغة وأنواعها ، وعلوم البلاغة الثلاثة بأفرعها وتفريعاتها الجليلة، فضــلا عــن العلوم الشرعية والعصرية وغيرها . ولئن كان من العسير الإلمــام والإحاطة بكل جزيئات العلوم ، لأن كلا منها يحتاج عمرا زمنيا لــيس ميســوراً لآحــاد البشر من دارسين وغيرهم ، إلا أنه حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق .

إن العلم واسع مديد ، بحر بلا قاع وبلا ساحل ، وما لا يؤخذ كله لا يترك جله .. فإن الأمانة ثقيلة ، والعزائم واهية ، والإنسان ضعيف ، والرحلة شاقة مضنية ، والعمر قصير ، والزمان جديد ...

ولايهولــن أحــدا الخوف والحذار من الخطأ متى استوفى العدة ، وتمكن من تحصيل الأداة ، وتوكل على الله تعالى ، مستويا على الجادة ، مســتقيما علــى الطريقة ، محتسبا فى هذا كله الأجر عند الله ، فإن الله تعالى لا يحرمه من فضله وإحسانه ، وبره ورضوانه .

وحســب العلــم من تكريم أن جعل الله تعالى العلماء بعد الملائكة مباشرة في توحيده والإسلام له :

﴿ شَــهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ...﴾ [آل عمــران/ ١٨] ، وقولــه النبي ﷺ فيهم : (يحمل هذا العلم من كل جيل عدولــــه ، يــنفون عــنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) .

ولقــد أراد الأســتاذ الدكتور/ كارم السيد غنيم – الأستاذ بجامعة الأزهــر ، الأمين العام لجمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ، والباحث المعــروف بمنهجه العلمي المحض ، وأسلوبه البحثي الصرف ، وسياقه المتمــيز بالجديــة والموضــوعية ، الذى تشهد بها محرراته ومؤلفاته العديــدة ، دونمــا سعى إلى شهرة أو إحداث لجلبة ، بل يعمل في هدوء وتــأن ، أراد أن يســتثمر خــبرته البعــيدة ، ودربته العميقة ، وصلته الوثــيقة، ســواء في الجامعة أم في غيرها من مراكز علمية وجمعيات ثقافــية ولجان هنا وهناك – في تقديم خلاصته صافية ضافية يرسم فيها مــنهجا وطــريقا لكيفية الولوج إلى دائرة البحث في "**الإعجاز العلمي في السنة النبوية** " مــن خــلال الأرضــية الراسخة والخلفية الرصينة من الضــوابط والملاحظــات الحــيوية والــتحفظات على مختلف مساراتها وأحوالهــا ، حتى يكون الدارس والباحث عن حق وبصيرة واستبصار ، وذلك ليكون في جانب العافية والسلامة والسداد والتوفيق . وذلك بعد أن سبق ووضع سيادته لدراسة (**الإعجاز العلمي في القرآن**) منهجا قويما في كــتابه : " الإشارات العلمية في القرآن الكريم – بين الدراسة والتطبيق " (دار الفكر العربي بالقاهرة ، ١٩٩٥م).

لقــد قــام الدكتور / كارم غنيم بهذا الصنيع خير قيام ، وفي أدق عــبارة ، وأوجز بيان ، بما يعد إضافةً جديدةً جديرةً بالتقدير ، بل وربما

يكـــون عملـــه هـــذا غير مسبوق ، إلى جانب ما أسلف من ذخائر ثمينة وجواهر نفيسة ... ولئن كان الدكتور/ كارم غنيم قد أحسن وأجاد ، فإننا لا زال يحدونا مزيد من التأميل منه بمزيد من التوسع والإفاضة في بعض المســـائل التي اختصر القول فيها ، ونحن على يقين من قدرته على ذلك التوسع والإسهاب المشبع في طبعة لاحقة ، إن شاء الله .

نفـــع الله بهذا الكتاب ومؤلفه ، ووفقنا وإياه المولى جل شأنه إلى مـــا يحبه ويرضاه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

دكتور / السيد الجميلي

القاهرة في : ١٣ من ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ

٣١ من مايـــــو ٢٠٠٥م

المقـدمـة

* * *

الحمــد لله والصــلاة والســلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلــى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، وبعد ... فإن سنة الرســولﷺ هــى المصــدر الثاني للتشريع الإسلامي ، فهى تقرر وتؤكد ما ورد في القــرآن من أمور ، وتفصّــل ما أجمله من أمور أخرى ، وتوضح آياته وتطــبق شــرائعه ... وهــى إمــا توقيفية كالوحي الصريح من الله إلى رسوله، وإما توفيقية كالإلهام الذي يلهمه الرسول ﷺ من الله ... و في كــل مــن القسمين ، فإن الرسول ﷺ معصوم من الخطأ ، و لا ينطق إلا بالصواب ...

ولقــد بذل المسلمون في خدمة السنة النبوية جهوداً كثيرة ، منذ عهــد النبوة وحتى الآن ، ووضعوا لدراستها العلوم والمباحث ، وقعدوا لجمعها وإثباتها القواعد التي بلغت من الإحكام والدقة ما شهد به الأعداء قــبل الأصــدقاء . و بالرغم من هذا ، جاء من يشكك في بعضها أو في كلهــا، وقد أنبأ رسول الله ﷺ بهذا، ويدل عليه أحاديث صدرت عنه ﷺ، مــثل قوله : (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري . ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) ...

هــذا ، ويعرف علماء الحديث ، الحديث النبوي بأنه ما روى عن رسول الله ﷺ ، وقد خصص له الأئمة والعلماء علوماً ، مثل : مصطلح الحديث ، والنظر في الأسانيد ، وغيرهما ، بهدف تمحيص ما يروى عن رســول الله ﷺ ، والوقــوف علــى صــحيحه الخــالص مــن التحريف والتصــحيف. وكــم هي محاولات التشكيك في الأحاديث النبوية، والسنة النبوية عموماً ، قديماً وحديثاً ، إلاّ أن الله سبحانه وتعالى يقيض لها من يــذبّ عنها عبث العابثين ويدفع عنها حقد الحاقدين .. وهذا وعد من الله تعــالى حيــن أنزل قوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)﴾ [ســورة الحجــر] ، والسنّة من الذّكر الذي تكفّل الله تعالى بحفظه ، على قول جمهور عريض من العلماء .

وإذا كانــت هناك كتابات أو مؤلفات وضعها أصحابها لإبراز بعض ما تحتويه الأحاديث النبوية من إشارات علمية ، أو طبية ، أو ما يسمى "الإعجــاز العلمــي" ، فإن البعض لم يكن من التحري والتمحيص بحيث يوصــف بأنه سار في محاولاته على هدى منهج علمي واضح الضوابط والقواعــد . ومن هنا كانت أهمية وضع البحث الحالي ، لتحديد الجوانب الرئيســة فــي هــذا المنهج ، الذي يجب الالتزام به عند دراسة إشارات الأحاديــث ، أو بحث دلالاتها ، العلمية ، هذا المنهج الذي يتضمن خمسة عشــر قــاعدة أو ضابطا ، إضافة إلى أساس جوهري في الموضوع هو الإخــلاص لله تعالى ، والتجرد عن الهوى و الأغراض الشخصية في هذا العمــل ، مع توفر الموهبة وامتلاك الأدوات الضرورية لولوج هذا الباب الذي يعد بحق ضرورة من ضرورات تطوير وسائل الدعوة الإسلامية في

العصــر الحالــي ، عصــر الثورة العلمية والقفزة المعلوماتية ، عصر لا يؤمن فيه كثير من البشر إلاّ بالعلم وحقائقه .

أمــا ضوابط هذا المنهج أو قواعده الخمس عشرة فهى : القواعد اللغويــة والضــوابط البيانية - توثيق النصوص - التثبت من المعطيات العلمية الحديثة - الوحدة الكلية ودور القرآن في فهم الحديث - خطورة ردّ أحاديث الآحاد - خطورة ردّ الأحاديث الصحيحة عموماً - الموقف من الأحاديــث الضــعيفة - الشرح الموضوعي للسنة - تخصيص العموم - معرفة أسباب الورود - الثابت والمتغير في الأحاديث - الجمع والتوفيق بيــن النصــوص الصــحيحة المتعارضة - الترجيح والتفضيل فيما بين النصوص الصحيحة المتعارضة - الناسخ والمنسوخ - الإشارات العلمية سبيل للهداية الإسلامية .

هــذا ، وندعــو الله أن نكون قد وضعنا بعملنا هذا لبنة في صرح علوم السنة، وعلامة من العلامات البارزة في طريق خدمة حديث النبي ﷺ ، وأن يجعله سبحانه لنا من الباقيات الصالحات ، إنه نعم المولى ونعم المجيب ... .

دكتور

كارم السيد غنيم

الجيزة في غرة جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ

أول يولية ٢٠٠٣ م

تمهيد

* * *

قسَّم العلماء الوحى إلى قسمين : وحي متلو ، وهو القرآن ؛ ووحى غير متلو ، وهو السنة ، والكل وحىٌ تنزَّل به الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ ... كما حدد العلماء الفروق بين القرآن وبين السنة النبوية فيما يلي :

١) القرآن قطعى الثبوت عن طريق التواتر جيلا بعد جيل ، وهو مالا يتوفر إلاّ للقليل من السنّة ، وكثيرها من روايات الآحاد .

٢) القرآن كله وحىٌ تلقاه الرسول ﷺ عن طريق أمين الوحى جبريل (عليه السلام) . وأما السنّة فمنها ما أوُحى إلى الرسول ﷺ بمعناه، وعبرَّ عنه بلفظ من عنده ، وهو أكثر السنة ، ومنها ما اجتهد فيه الرسول ﷺ وأقرّه الوحى فيما أتاه أو تركه ، ومنها ما اختلف العلماء في مصدر ألفاظه ، أهى من عند الرسول ﷺ أم وحى ألقاه الله على قلبه (مثل : الأحاديث القدسية). أو كما قيل السنة نوعان :

النوع الأول: وحىٌ ، وما هو بمنزلة الوحى، فأما الأول فقسمان : **الأول** : الوحى معنىً ولفظاً ، ومقصود به التعبد ، والإعجاز والتحدى ، **والثاني** : لا يقصد منه كذلك ، وإن كان وحياً معنىً ولفظاً ، وهو الحديث القدسى .

النوع الثاني: ما صدر عن الرسول ﷺ بدون قصد التبليغ عن الله، لكن الله أقرّه عليه ، فهو بمنزلة الوحى وإن لم يكن وحياً فى ذاته، وهو الصحيح النقل عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وما شابه ذلك [1] .

٣) ومن الفروق ، أيضا ، أن القرآن لا يجوز ، بل يحرم على المسلم ، أن يرويه بغير لفظه ، أما الأحاديث فيمكنه روايتها بالمعني عند الضرورة ، وإن كان لذلك شروط سنتناولها بداخل ضوابط المنهج العلمي – موضوع البحث الحالي .

٤) والقرآن يتعبدُ بتلاوته في الصلاة وفي غيرها من العبادات ، ولتلاوته شروط يجب توافرها في التالي والظروف والمكان .

ويعّرف العلماء **الحديث النبوي** بأنه هو الخبر المأثور عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وأُطلق اصطلاحاً على ما روى عن رسول الله ﷺ ، وقد أفرد له الأئمة علماً سمُّوه علم (مصطلح الحديث) وعلوم أخرى مثل : (علم الرجال) ، (علم الجرح والتعديل) ، ... الخ ليتوصلوا إلى تمحيص ما يُروى عن رسول الله ﷺ ، فيقفوا على صحيحه الخالص من شائبات التحريف والتصحيف ، وتمييز الناسخ من المنسوخ.

ومن علوم الأحاديث : النظر في الأسانيد ليؤمن على الرواية من الخطأ والوضع، وذلك يستلزم معرفة تراجم الرواة وسيرهم ودرس أخلاقهم وتمييز درجاتهم . ومن هنا اضطروا إلى تقسيم الأحاديث إلى

---

(١) د / عبد الغنى عبد الخالق : حجية السنة . المعهد العالمي للفكر الإسلامي (واشنطن) ، ودار القرآن الكريم (بيروت) ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .

طوائف شتى ، حسب درجة رواتها – قوةً وضعفاً . فمن الأحاديث : الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمنفصل والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك [٢]. وعلى سبيل المثال ، فالحسن عند الترمذي هو الصحيح عند غيره بحسب منهجه ، والجمهور متفق على أن تحسين الترمذي أقوى من تصحيح أبى داود .

أهمية السنة في الإسلام :

روى الأئمة : الشافعى وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى رافع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا ألفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرتُ به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدرى ، ما وجدناه في كتاب الله (اتبعناه) . وروى الشيخان في صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (دعوني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم) . وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : (بلّغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عنى ولا تكذبوا ، فمن كذب علىَّ متعمدا ، فليتّبوأ مقعده من النار) .

(٢) محيي الدين أبى زكريا يحى بن شرف النووي : الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ . دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة . تحقيق : طه عبد الرءوف سعد . بدون رقم الطبعة وتاريخها .

ولقد أجمع العلماء على أن السنة النبوية تقرر وتؤكد ما ورد في القرآن الكريم من أمور ، وتبيّن وتفصّل ما أجمله من أمور أخرى ، وتكشف اللثام عما سكت عنه القرآن ، فلم يثبته ولم ينفعه ، وتوضح آياته ، وتطبق شرائعه ، وتضيف إليه الكثير من شئون الدين وأحكامه ، وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، بعد القرآن مباشرة ، وقد تخصص ما يبدو أنه مفيد للعموم ، وتقيد ما يبدو أنه مفيد للإطلاق ... وللعلماء أدلة عديدة على هذا ، يضيق المقام الآن عن سردها ، أو حتى عن إيجازها ... .

وقد قام بعض العلماء بتقسيم السنة إلى ما هو توقيفى وما هو توفيقى ، فأما **التوقيفي** فهو وحيٌ صريح من الله تعالى لرسوله في كل ما يتعلق بالعقيدة والعبادات والمعاملات ، فيبلغه الرسول ﷺ للناس بكلامه هو . وكذلك الأحاديث القدسية عن الله عزّ وجلّ ، هى منزّلة على الرسول بمعناها فقط ولم تنزل بلفظها .

وأما القسم **التوفيقي** فهو من إلهام النبوة ، وما علّمه الله تعالى لرسوله . وهذه الأحاديث المشرقة توجيهية وتعليمية وتربوية للأمة ، والرسول معصوم فيها من الخطأ ... وكان الوحى ينزل على الرسول ﷺ بالأصوب ، ولم يلغ أىّ حكم نطق به رسول الله ﷺ ، لأنه كان دائماً ينطق بالصواب ، وإن كان الوحى ينزل أحيانا عليه بالأصوب، كما حدث في حادث أسرى بدر ، وحادث الأعمى .

ومن الأحاديث التوفيقية تلك الأحاديث التي يعلّم بها رسولُ الله الناسَ المنهج العلمي الصحيح في الفكر الإنساني ، مثل : حديث تأبير

النخل ... كما أن من أهداف الأحاديث التوفيقية تأكيد بشرية الرسول ﷺ الذي يأمر بالشورى [٣].

حفظ السنّة بوعد إلهى :

تكفّــل الله تعــالى بحفظ القرآن الكريم ، وتكفّل أيضاً بحفظ سنة الرسول ﷺ، وضمن بقاءها كما ضمــن بقاءه ، وذلك بنص قوله العظيم: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون(٧)﴾ [سورة الحشر] . ويفهم من هــذه الآيـــة الوعد القاطع بالحفظ . ولما كانت السنة مبيّنة للقرآن ، فإن حفــظ المبيَّن يستلزم حفظ البيان ، إذ لا معنى للمبين بدون بيان ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٦٤)﴾ [سورة النحل] .

ومن أشهر العلماء الذين ذهبوا إلى أن السنة من " الذكر " الذي تكفّــل الله بحفظـــه ، ابن حزم ، الذى عقد فصلا في كتابه (الإحكام في أصـــول الأحكـــام) ســـاق فـــيه أدلة كثيرة لذلك، ونقل بعضها د / سعد المرصـــفى في بحث قيم له ، ثم أضاف قائلا : قد يقول قائل : إنما عنى الله تعـــالى بذلك (أىْ : الذكر) القرآن وحده ، لا سائر الوحى الذي ليس قـــرآنا !! ولكنه ردّ هذا بقوله : هذه دعوى كاذبة مجردة عن البرهان ،

---

(٣) د / أحمد شوقى إبراهيم : موسوعة الإعجاز العلمى في الحديث النبوى . ج ١ ، ط ١ ، دار نهضة مصر ، ١٤٢٤ هـــ / ٢٠٠٣ م .

وتخصيص للذكر بلا دليل ، وما كان هكذا فهو باطل ... والذكر اسم واقع على كل ما انزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو سنة يبيّن بها القرآن .

وممـــن ذهب إلى هذا من العلماء : عبدالله بن المبارك ، وحين ســئل عن "الأحاديث الموضوعة " (أىْ : المكذوبة والمنسوبة زوراً إلى رســول الله) ، قــال: تعيش لها الجهابذة، أىْ : سيقيّض الله لها فحول العلماء ليكشفوها ويحذروا الأمة من خطرها .

وقــال بهذا أيضاً عبد الرحمن بن مهدي ، وابن القيم،وجمهور كبير من العلماء (٤).

محاولات التشكيك في السنة وحكم منكرها :

نعــود إلــى قول رسول الله ﷺ المروى عنه في الصحاح : (لا ألفينَ أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرتُ به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدرى ، ما وجدناه في كتاب الله (اتبعناه) . وفي رواية أخرى زيادة هى : (ألا إن ما حَرم رسول الله مثل ما حَرم الله) . ويدل هذا الحديث على معجزة لرسول الله ﷺ ، إذ ظهرت هذه الفرق من الناس، قديماً وحديثاً ، الفرق الداعية إلى الاكتفاء بالقرآن والاستغناء به عــن السنة ، وهم الذين يسمّيهم البعض " القرآنيين " ، وهم في الحقيقة غــير هذا ... وإنهم ليتباهون بأنهم قرآنيــون على الرغم من تناقضـــهم

---

(٤) د / ســعد محمــد محمد الشيخ المرصفي : مشكل الحديث في ضوء أصول التحديــث : روايــة ودرايــة . مجلة الهداية (البحرين) ، (١٧١ ، ١٧٢) ١٤١٢ هـــ / ١٩٩١ م .

مع أنفسهم ، إذ ينكــرون السنة التى أمر الله تعالــى باتبــاعها لقوله : ﴿ وأطيعوا الله والرسول ... ﴾

إن الذيــن ينادون بالاكتفاء ، لا ينادون بذلك حبا فيه ، بل هدماً لنصــف الدين ، ولقد أوصى رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأكد اعتماد القــرآن والسنة في جميع أمور المسلمين، فقال في خطبته ما رواه عنه ابــن عــباس : (إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطــاع فيما سوى ذلك مما تحقّرون من أمركم فاحذروا ، إني تركت فيكم مــا إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه) رواه الحاكم والإمام مالك .

يقــول الدكتور/ محمد أبو شهبة في كتابه (دفاع عن السنة) [٥]: هناك حديث موضوع يتمسك به الذين لا يريدون استقلال السنة بالتشريع، هو : (إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق فخذوه ومــا خــالف فاتركوه) . وقد بيّن أئمة الحديث أنه موضوع مختلق على النبــي ﷺ ، وضـــعه الزنادقة كي يصلوا إلى غرضهم الدنيء من إهمال الأحاديــث ، وقد عارضه بعض الأئمــة فقــالوا : عرضــنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له ، لأننا وجدنا في كتاب الله : ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٧) ﴾ [سورة الحشر]، ووجدنــا فيه : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠)﴾ [سورة النساء].

---

(٥) د / محمــد محمــد أبــو شــهبة : دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكــتاب المعاصرين . سلسلة البحوث الإسلامية - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . ط ٢ ، ١٤٢٠ هــ / ١٩٩٩ م .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يكذّب هذا الحديث ويردّه . وقد حاول بعض المستشرقين وأتباعهم (من العرب والمسلمين) الذين صنعهم الاستعمار (القديم والحديث) علـى عينه أن يحيوا ما اندرس من هذه الدعوى الخبيثة ، ولكن الله سبحانه هيأ لهؤلاء في العصر الحديث – كما قيّض لأسلافهم قديما – مَنْ وضع الحق في نصابه ، وردّ كيدهم في نحورهم[٦] ...

نعود إلى الحديث النبوى الصحيح : (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته ، يُحدّث بحديثي ...) ، وله عدة روايات ، منها ما روى عن المقدام بن مَعْد كرب ، قال : حرّم النبى ﷺ أشياء يوم خيبر ، منها الحمارُ الأهليّ وغيرُه ، فقال رسول الله ﷺ: (يُوشكُ أن يَقْعُدَ الرجلُ منكم على أريكته ، يحَدِّثُ بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحْلَلْناهُ ، وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناه ، ألا وإن ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله). هذه رواية الحاكم ، وفي صدر رواية أبى داود قول رسول الله ﷺ: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ...) .

هذا ، ويمكن استنباط أحكام وأصول وقواعد من هذا الحديث – برواياته – علمها الرسول ﷺ للصحابة منها [٧].

١) السنة النبوية من وحْى الله تعالى إلى رسوله ﷺ ، وهذا واضح من قوله ﷺ : (ألاَ إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه). وجاءت بهذا

---

(٦) د / محمد محمد أبو شهبة : نفس المرجع .

(٧) د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي : أحاديث معجزات الرسول التى ظهرت فى زماننا . مكتبة الإيمان بالقاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م .

المعنى آيات قرآنية عديدة (مثل: النجم/١، النساء/ ١٠٥ ، ١١٣) وأحاديث نبوية كثيرة، وعليه سلف الأمة وخلفها .

٢) السنة النبوية مصدر مستقل ، والقرآن الكريم والسنة النبوية أساس الإسلام ومصدره ، وهذا واضح من قوله ﷺ : (وإن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله) ، وقد استقلت السنة بأمور في الإسلام ، منها أمور عقدية وأمور تشريعية ، وكلها أمور ضرورية في الإسلام ، ويجب على المسلم أن يعمل بها .

٣) الإخبار بأنه سيظهر في الأمة من ينكر السنة النبوية ، ويدعو للاكتفاء بالقرآن ، وهؤلاء لم يتفقهوا في الدين ، وإنما هم جهلة بالإسلام ، ومترفون ومتكبرون ، وعلى المسلم أن يحذرهم . وهذا واضح من قولهﷺ: (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته ، يحَدِّثُ بحديثى ...) .

وهناك أسباب دعت البعض إلى ترك العمل بالسنة النبوية ، نبّه الحديث النبوي المذكور (برواياته) إليها ، وهى : الجهل بالإسلام (بأصول ومصادره)، والكبر وقسوة القلب . وأما شبهة منكري السنّةَ ، فقد ردّ رسول الله ﷺ فى حديثه هذا عليها ، وهى قولهم إن القرآن الكريم كاف واف ، ويستدلون بمثل قول الله تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شئ (٣٨) ﴾ [سورة الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ(٨٩)﴾ [سورة النحل] . وهؤلاء المنكرون يرفضون الحديث النبوى ، ويرون أن مهمة الرسولﷺ كانت تبليغ القرآن

فقــط ... وهــم فــي الحقــيقة لا يريدون القرآن ولا السنة ، ولكنهم لا يجاهرون بذلك حتى لا ترفضهم الأمة .

وفي الحديث ذاته (برواياته الواردة عن الحاكم وأحمد) نماذج مما استقلت به السنة النبوية ، وهى تحريم الحُمُر الأهلية ، تحريم لحوم كــل ذى ناب من السباع ، تحريم لحوم كل ذى مخلب من الطير ، تحريم اللقطة ، حق الضيف ، ... الخ .

ومــن وجوه الإعجاز فى هذا الحديث النبوي إخبار الرسول ﷺ بظهــور هذا الصنف من المسلمين ، وتحديد صفاتهم ، وهذا يدل على أن الســنة مــن وحى الله إليه ، يجب حفظها واحترامها والعمل بها ... هذا الصــنف من المسلمين يدّعون ظاهراً إلى الاكتفاء بالقرآن ، وينكرون أن تســتقل السنة بأحكام ، وإن ظهور هذا الصنف إنما هو معجزة لرســول الله ﷺ.

بحث الإشارات العلمية في القرآن والسنة ونشأته :

" **الإعجاز العلمي** " هو إخبار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية، بحقــيقة أثبــتها العلــم التجريبي ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشــرية فــي زمــن الرسول ﷺ . ويعتمد إبراز وجوه الإعجاز العلمي للقــرآن والسنة على الحقائق المستقرة التى تثبت بأدلّة قطعية ، ويشهد بصحتها جميع أهل الاختصاص(٨).

---

(٨) عــبد المجــيد بــن عزيز الزنداني : المعجزة العلمية في القرآن والسنة . المؤتمر الدولي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. إسلام آباد ، ١٩٨٧م.

أمـــا " **التفسير العلمي** " فهـــو الكشف عن معاني الآية ، أو الحديـــث النـــبوي ، فـــي ضـــوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونـــية... فالإعجـــاز العلمي ، إذن، يتعلق بالعلم التجريبي ، وبالحقائق منه فقط ؛ بشرط عدم إدراكها بالوسائل البشرية زمن نزول الوحى ، أما التفسير العلمي فهو أعم[٩].

أمـــا الفكرة فقديمة ، وأما المصطلحات فظهرت فى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فهي ضاربة في تاريخ الإسلام ، إذ تمتد من عصر النهضـــة العلمـــية فـــي زمن الدولة العباسية. وبدت هذه الفكرة مركزة وصـــريحة علـــى لسان الغزالي ، وابن العربي، والمرسى ، والسيوطى ، والرازي[١٠] ... وأخذت الفكرة تنتشر عبر الزمان ، وتكسب رجالا ، حتى ألفـــت فـــيها كتب خاصة مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، وتعددت الجهـــود الفـــردية ، إلى أن عقدت من أجلها مؤتمرات مع نهايات القرن الـــرابع عشـــر الهجري وعلى امتداد ما انقضى من القرن الخامس عشر الهجري[١١].

---

(٩) عبد المجيد بن عزيز الزنداني : نفس المرجع .

(١٠) لمـــزيد مـــن التفصيل أنظر : د/ كارم السيد غنيم : الإشارات العلمية في القـــرآن الكـــريم – بيـــن الدراسة والتطبيق. دار الفكر العربي بالقاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

(١١) لمزيد من التفصيل أنظر : د / كارم السيد غنيم : جهود وإنجازات الجهات العاملة في مجـــالات الإعجاز العلمي للقـــرآن والســـنة . ندوة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهـــرة حول الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، أبريل ٢٠٠٣م .

وهناك عدد غير قليل من المؤسسات (الأهلية والحكومية) التي أنشئت لهذا الهدف، وهو دراسة وبحث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، بمختلف أنحاء العالم ، مثل: هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة ، وجمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بالقاهرة، وجمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بكاليفورنيا ، والمجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بالقاهرة ، ولجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ولجنة وقف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بالأزهر ... [١٢].

هذا ، وإن كان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة قد لقي رواجاً كبيراً وإقبالاً مشهوداً ، فإنه لم يرسخ ويستقر كعلم مستقل ، له قواعده ومناهجه ، ولو أن المحاولات في سبيل ذلك جارية[١٣].

* * *

---

(١٢) د/ كارم السيد غنيم : نفس المرجع

(١٣) أحمد بن حسن بن أحمد الحارثي : الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي . أطروحة لنيل درجة الماجستير من كلية الحديث والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالسعودية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢ م .

أهداف ومقاصد

بيان الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية

* * *

- خدمة السنة والدفاع عنها ضد المشككين في ضرورة العمل بما ورد فـيها أو الاهتداء بهديها في نواحي الحياة المختلفة ، وخصوصًا أن هـذه الدراسات والبحوث تتناول الصحيح من السنة ، وبيان أوجه الإعجاز العلمي في نصوصها ، دون اللجوء إلى الأحاديث الضعيفة أو الأحاديث الموضوعة .

- يُعَـدُّ بحثُ وبيانُ بعض أوجه الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية ، الصـحيحة المتـن والسـند ، مـن (دلائل النبوة) ، أو (علامات النبوة)، التي تفحم المعاند ، وتزيد الإيمان في قلب المؤمن ... وقد أدلى السابقون بدلوهم في بيان هذه الدلائل وعرض تلك العلامات ، وجمعـوا فيها الكثير من الأحاديث ، ونذكر منهم أجمعهم وأشملهم وهـو البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) في " دلائل النبوة " ، وقد سبقه إلى ذلك أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) إلى وضع كتاب بنفس هذا العنوان .

- يـتم توجيه نتائج هذه الدراسات والبحوث إلى غير المسلمين كأدلة مقـنعة بصدق ما صدر عن الرسولﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات، إضافة إلى كشف كنوز القرآن العظيم، وهذه كلها أدلة ودلائل علمية

في زمن لا يقبل فيه العقلاء من الشعوب المتقدمة علميا وتكنولوجيا بسوى العلم وبيّناته ودلائله .. أى أن نتائج هذه البحوث والدراسات تشكل برهانا جليا على أن الأحاديث النبوية من وحى الله تعالى إلى رسولهﷺ . لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم/٣]

- إن غـير المســلمين حين يرون سرًا من أسرار المخلوقات قد ظهر بعد تقصّيه بالآلات والأجهزة والمعدّات المتطورة فى هذا العصر فقط ، بالــرغم مــن أنه مذكور (تصريحًا أو تلميحًا) فى القرآن أو فى الســنة، فى زمن لا أجهزة ولا معدّات للبحث العلمى ، وقد نطق به رجل أمىّ لا يقرأ ولا يكتب ، فإن العقلاء منهم لا شك سيدخلون فى الإســلام ، إذ يسلّمون بأن كل هذا لا يستطيعه بشر ، بل لا بد وأن يكون مصدره وحىّ من السماء (١٤).
- كمـا يمكــن الــتوجه بنتائج هذه البحوث والدراسات إلى المرجفة قلوبهــم وضــعاف الإيمــان من المسلمين ، وخصوصًا من الشباب المفــتون بعلوم غير المسلمين ومخترعاتهم ، وبالتالى نعيد لهؤلاء الــثقة بديــنهم وســنّة نبيهم ... . وبعبارة أخرى ، فإن نتائج هذه الــبحوث والدراسات تزيدنا إيمانا بثبوت السنة النبوية وأصالتها ، وأنها علم صحيح ثابت، جمع الكثير مما تحدّث به ﷺ عن زماننا ، فكان كما أخبر ﷺ (١٥).

---

(١٤) أحمد بن حسن بن أحمد الحارثى : نفس المرجع .

(١٥) د/ عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى : مرجع سابق .

- يجب أن تستهدف هذه البحوث والدراسات العلمية في الأحاديث النبوية (أى بحوث بيان أوجه الإعجاز العلمي فيها) الأمة الإسلامية ، فتدفعها نحو النهوض والارتفاع بها كى تتبوأ مكانتها التى أرادها الله لها : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ..(١١٠) ﴾ [سورة آل عمران] . ويتضمن هذا إتخاذ آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ منارات هادية للعلماء في بحوثهم واكتشافاتهم(١٦).

- وإن كانت السنة النبوية ليست فى حاجة إلى من يؤيد صدقها أو يصدّق برسالة صاحبها، لكن ذلك فضل الله تعالى أراده لخيرية هذه الأمة ، حتى يؤيد آخرها بما في السنة من فيوضات ، كما أيّد أولها، ولا يُحْرَمُ عصر من العصور من هذا المدد الفيّاض(١٧).

- إن السنة تتحدث عن علوم ظهرت في عهد النبى ﷺ وشاهدها أصحابه ، وجاءت بتبيان رآه مَنْ بقى من أصحاب النبى ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ومنها ما ظهر بعد ذلك على مرّ العصور، ومنها ما لم يظهر بعد ولم يأت أوانه ، لكن بدون شك

---

(16) محمد خير حسب الرسول أحمد : ضوابط الإعجاز فى القرآن والسنة. المؤتمر الدولي الأول للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة. إسلام آباد ، ١٩٨٧م.
(17) د/ محمد فؤاد شاكر : من إعجاز السنة المشرفة . طبع دار النيل للطباعة بالقاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

سيظهر في كل عصر ما يبهر أهله ويحمل اليقين إلى معاصريه في صدق النبى المرسل وصدق الرسالة الخالدة (١٨).

- تستهدف دراسة الجوانب العلمية فى السنة النبوية بيان وجوه الهداية والإرشاد فيها وما تنطوى عليه من حكم علمية وصحية للإنسان ، مما يؤدى إلى توسيع دائرة الاعتماد على السنة من المجال الفقهى وحده ، إلى كافة المجالات الإنسانية والاجتماعية .

- إن قضية (فهم السنة النبوية) وبلورة مناهج الفهم ومقاييس وضوابط نقد المتون ، ونحو ذلك من القضايا التي تساعد على اتخاذ السنة النبوية المطهرة – مصدرا للثقافة والمعرفة والحضارة الإسلامية – وهى قضية هامة تحتاج إلى كثير من الجهود العلمية والدراسات الجادة والندوات العلمية لكى تستعيد السنة دورها الإيجابي الفعال فى بناء الحياة الإسلامية المعاصرة (١٩).

* * *

---

(١٨) د/ محمد فؤاد شاكر : نفس المرجع .

(١٩) د / طه جابر العلوانى : تقديم لكتاب : " كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟ "، دار الوفاء للطباعة والنشر – المنصورة (مصر) ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

أساسيات منهجية
لبحث الإشارات العلمية فى الأحاديث النبوية

* * *

بدايـــةً يجب أن نقرر أساساً ، بل أساس الأسس جميعها ، في التعامل مع كتاب الله العظيم وسنة نبيّه الكريم ، وهو الإخلاص ، إخلاص الوجه والوجهة لله رب العالمين ، والتوجه بالبحث والدراسة نحو مرضاة الله ، وبيان ما فى كتابه المجيد من معجزات وعجائب ، وكذلك ما تحتوى سنة المصطفى ﷺ من كنوز .

روى عــن أبى ذرٍّ أن رسول الله ﷺ قال : (قد أفلح مَنْ أخلص قلــبه للإيمان ، وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مســتقيمة ، وجعل أذنه مستمعة وعينه ناظرة ، فأما الأذن فتعى والعين مقــرة بمــا يوعــى القلــب، وقد أفلح مَنْ جعل قلبه واعيا) رواه أحمد والبــيهقى ، وفــى إســناد أحمد احتمال للتحسين ، وأورده المنذرى فى (الترغيب والترهيب) [٢٠].

ويقــول أبــو القاســم القشيرى : الإخلاص إفراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعات بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى

---

(٢٠) زكــى الديــن عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى : الترغيب والترهيب. مكتبة شباب الأزهر الشريف بالقاهرة ، بدون رقم الطبعة وتاريخها .

دون شيء آخر من تصنّع لمخلوق واكتساب محمدة عند الناس أو محبة مـدح مـن الخلـق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى .
ويقـول: ويصـح، أو يصـلح، أن يقال : الإخلاص : تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين (٢١).

وعلـى الباحث المنقب عن كنوز القرآن والسنة أن يبتغي بعمله صـلاح الديـن والدنيا والآخرة ، فأما الدين فهو قوام الدنيا ، وأما الدنيا فهـي دار العمـل والاختبار ، وأما الآخرة فهي دار المقامة والاستقرار .
أورد النووي في "الأذكار" (٢٢) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إنمـا الأعمال بالنيّات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجـرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلـى دنـيا يصـيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه الشيخان في صحيحيهما .

كمـا يجـب على الباحث الدارس أن يكون عاملاً بما يعلم ، كي يورّثه الله علم ما لم يعلم ، لأن الله سبحانه يقول : ﴿ واتقوا الله ويعلّمكم الله (٢٨٢) ﴾ [سورة البقرة] ، ويقول رسول الله ﷺ : (من عمل بما علـم ورّثـه الله علم ما لم يعلم) رواه أبو نعيم والدارمي وابن ماجه ، بألفاظ مختلفة . ويقول الله سبحانه: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

---

(٢١) محمـد بن علان الصديقي : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين . دار الريان للتراث بالقاهرة ، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
(٢٢) محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي : مرجع سابق .

وإن الله لمــع المحســنين (٦٩) ﴾ [سورة العنكبوت] .. فعلى الباحث الــدارس أن يستلهم الرشد والتوفيق من الله، وأن يحذر الإعجاب بنفسه، وأن يكــون من المتجردين الزاهدين في حطام الدنيا ، الراغبين فى نعيم الآخرة ..

وبعــد الإعداد النفسى والروحى على النحو الذى أوردناه ، يجب أن يســير الباحث فى بحثه وفق ضوابط ، وأن يلزم نفسه بقواعد ، وأن يتــبع أسســاً منهجية، نوجزها فى الصفحات القادمة ، والتوفيق من الله تعالى ... .

* * *

(١)
القواعد اللغوية والضوابط البيانية

***

أ) القواعد اللغوية

لا يتوقع فهم لمن لا يعرف لغة ما لنصٍّ مكتوب بها ، فإذا أضفنا إلـــى ذلـــك ما تتميز به اللغة العربية من أساليب متعددة ، وما طرأ على المفـــردات اللغوية من تغير فى الدلالات ، وما تتسع له اللغة العربية من الاشـــتقاق ، وغـــير ذلـــك مما تحفل به مراجع اللغة ، بنحوها وصرفها وفقهها وأساليبها وبلاغتها وآدابها ، عرفنا كيف يخطئ فى الفهم ، ويقع فـــى التناقض ، من يجهل هذه الجوانب اللغوية فى التعامل مع النصوص الواردة بها، وأهمها وأشرفها بعد كتاب الله تعالى سنة رسول اللهﷺ [٢٣].

ولا بـــأس مـــن الـــتعرف على أقسام اللفظ ، دون تفصيل القول بهـــدف الاختصـــار ، فمن أقسامه : وضع اللفظ للمعنى ، وبهذا الاعتبار يقسم اللفظ إلى خاص (مطلق ومقيد وأمر ونهى) ، وعام ، ومشترك . استعمال اللفظ فى المعنى الموضوع له أو فى غيره ، وهو بهذا الاعتبار يقســـم إلـــى : حقيقة ومجاز، وصريح وكناية . وضوح المعنى وخفاؤه ،

---

(٢٣) د/ محمد رأفت سعيد : أسباب ورود الحديث . سلسلة كتاب الأمة (قطر) ٣٧ ، ط١ ، ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م.

وبهـــذا الاعتـــبار يقسم اللفظ إلى : ظاهر ونص ومفسر ومحكم ومتشابه ومجمـــل ومشـــكل ومتشابه . ثم كيفية دلالة اللفظ على المعنى المستعمل فيه ، وطرق فهم المعنى من اللفظ ، وبهذا الاعتبار تكون دلالة اللفظ على المعـــنى إما بطريق العبارة أو الإشارة أو الدلالة أو الاقتضاء ، أو مفهوم المخالفة (٢٤).

مراعاة تعدد مدلولات اللفظ :

مـــن خصائص اللغة العربية تعدد مدلولات اللفظ وكثرة معانيه ، وعلـــيه فـــإن اســـتعمال الســـابقين من العلماء لمعنى معين لا يمنع من اســـتعمال المعاصرين من الأخذ بمعنى آخر ، طالما أنه سيفيد فى تعميق مفهـــوم اللفظ ، أو يعين على بيان إشارة علمية ، أو يؤدى إلى توضيح مسألة كونية أو طبية أثبتتها العلوم المعاصرة .. ولا يعنى هذا غضًّا من قدر السابقين ، لأنهم بذلوا الجهد واجتهدوا في خدمة اللفظ وبيان مفهوم الحديـــث بحســـب معطياتهم العلمية ، فاختاروا من معانيه ما توافق مع معارفهم وما انسجم مع ما توفّر لديهم فى عصورهم ..

وعلينا أن ندرك الاختلاف الحاصل فى فهم ألفاظ الحديث – وهى ألفاظ العربية فى أبلغ صورها لأنها من قول أعظم البلغاء – وهو رسول الله ﷺ – عـــبر العصـــور المختلفة ، فلقد فهمها أهل العصور المتعاقبة

---

(٢٤) د/ عـــبد الباسط السيد مرسى : الأصول في دراسة سنة الرسول . مكتبة الدعوة بالقاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـــ / ٢٠٠٠م .

أحـيانا علـى وجههـا المجـازى حين عجزوا عن فهمها على وجهها الحقيقى، لعدم توفر المعارف والعلوم التى تعينهم على هذا (٢٥) .

وقد تتغير مدلولات الألفاظ العربية من عصر لآخر ، كما تختلف مـن بيئة لأخرى ، وقد نبّه أبو حامد الغزالى على هذا فى (كتاب العلم) مـن (الإحـياء) . ولذلك وَجَبَ تحرّى مدلولات ألفاظ الحديث النبوى ، لتوقى الأفهام غير السليمة لها فى عصرنا الحاضر (٢٦) .

وفي هذا الإطار، ضرب صاحب كتاب (كيف نتعامل مع السنة؟) مـثالاً لتغيّر مدلول اللفظ عبر العصور ، و ذلك بالأحاديث الصحيحة التى توعَّدت المصوّرين بالعذاب ، وأن الفهم السليم لهذا الوعيد لا يسرى على مـا يسمى (التصوير الفوتوغرافى) ، لأسباب منها أنه لم يكن معروفاً علـى عهـد النـبى ﷺ أو الصـحابة أو التابعين ، وإنما المقصود هو (التصـوير المجسَّـم) ، أى مـا له ظل ، وقد أجمع علماء السلف على تحريمه فى غير لعب الأطفال (٢٧).

---

(٢٥) د/ كـارم السيد غنيم : الإشارات العلمية فى القرآن الكريم (مرجع سابق).

(٢٦) د/ يوسـف القرضـاوى : كـيف نتعامل مع السنة ؟ . دار الوفاء للطبع والنشر بالمنصورة (مصر) ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

(٢٧) د/ يوسف القرضاوى : نفس المرجع (بتصرف) .

ب) الضوابط البيانية

إذا كانت العربية لغة غنية بالبيان والبديع وصورهما الثرية التى لا تضارعها فيها لغة أخرى فى العالم ، فإن رسول الله ﷺ هو أعظم من تكلـم بهـا ، وأفصح وأبلغ من نطق وعبَّر بها ، وعليه ففى كلامه تجد صـورا بيانـية عجيبة ، ومن هذه الصور : " **المجاز** " ، وهو ما يخرج باللفظ عن ظاهره ، والأمثلة على هذا عديدة فى حديثه الشريف .

وبالـرغم مـن وجود صور بيانية عديدة فى كثير من الأحاديث النـبوية ، فيجب عدم العدول عن حقيقة اللفظ إلى مجازه فى فهم الدلالة العلمـية أو الإشـارة الكونية أو الحكَم الصحية للحديث النبوى ، إلاّ إذا قامـت القرائن واضحة تمنع من ظاهر اللفظ وتَحمله على مجازه ، سواء كانـت قرائـن مقالية أم قرائن حالية.(وهذه قاعدة أساسية اعتمدها أهل السـنة والجماعة فى تأويل النصوص الشرعية، لأن الأصل فى التخاطب إرادة المعـنى الظاهر المتبادر دون خلافه، إذ إرادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللاً فى الإفادة والاستفادة، وفى ذلك من المفاسد ما لا يخفى) (٢٨).

ولقـد حشد صاحب كتاب (كيف نتعامل مع السنة ؟) (٢٩) عدداً كبيرا من الأمثلة لاستقامة فهم أحاديث نبوية إذا راعينا ما فيها من صور

---

(٢٨) محمد فاضل : الحراب في صدر البهاء والباب . دار المدنى (جدة)، ط٢ ، ١٩٨٦م .

(٢٩) د/ يوسف القرضاوى : مرجع سابق .

بيانية ، كالمجاز ، فيها . ونحن من جانبنا نسوق هنا موجزا لبعض هذه الأمثلة ، لتوضيح الأمر .

مثال (١) : روى مسلم فى صحيحه قول رسول الله ﷺ لنسائه من أمهات المؤمنين : (أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً) . وقد فهم نساؤه حديثه على معناه الظاهرى ، أىْ طول اليد المعهود ، فكنّ يقسن أطوال أيديهنّ ليرين أيهنّ ذات أطول يداً . ولكن الرسول ﷺ كان يقصد الخير والمعروف، وهو ما عبّر عنه بطول اليد . وكانت زينب بنت جحش أول نساؤه لحوقا به ، وكانت تعمل بيدها ، وكانت كثيرة التصدق .

مثال (٢) : الحديث القدسى الذى يقول فيه ربُّ العزّة على لسان رسوله ﷺ : (إذا تقرّب عبدى إلىّ بشبر تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرّب إلىّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة) متفق عليه . ردّ المعتزلة هذا الحديث لأنه يوهم تشبيه الله تعالى بخلقه فى القرب المادى والمشى والهرولة ، وهو ما لا يليق بكماله سبحانه . إلاّ أن ابن قتيبة ردّ عليهم فى كتابه (تأويل مُخْتَلِف الحديث) بقوله : إن هذا تمثيل وتشبيه ، وإنما أراد: مَنْ أتانى مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكنّى عن ذلك بالمشى والهرولة.

مثال (٣) : روى الشيخان عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : (اشتكت النار إلى ربّها ، فقالت : يا ربّ أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نَفَسٌ فى الشتاء ، ونَفَسٌ فى الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحرّ ، وأشد ما تجدون من الزمهرير). لا يمكن فهم هذا الحديث على ظاهر اللفظ، وإنما الفهم المستقيم يكون بحمله على المجاز والتصوير الفنى (البلاغى)، فهو

يصـــوّر شدة الحرّ على أنها نَفَس من أنفاس جهنم ، كما يصور زمهرير الـــبرد علـــى أنه نَفَس آخر من أنفاسها ، فجهنم تحوى العديد من ألوان العذاب ..

مثال (٤) : روى الشيخان فى صحيحيْهما حديث رسول الله ﷺ : (الحُمىّ من فيح جهنم فأبردوها بالماء) . وفهم البعض الحديث على ظاهر لفظه ، فـــردّه ، لعدم معرفته بفنون العربية ، التى بلغ الرسول ﷺ فيه الذروة ، والحديث لابد من حمله على المجاز حتى يمكن فهمه فهماً سليماً .

وبعد ، فإن هناك العديد من الأحاديث النبوية لا يمكن أن يستقيم فهمها إلاّ إذا خرجت ألفاظها ، أو بعض ألفاظها ، عن الظاهر إلى المجاز، ومـــنها : حديـــث ذبح الموت بين الجنة والنار (الذى رواه الشيخان عن ابـــن عمر رضى الله عنهما) ، وحديث الجنة تحت ظلال السيوف (الذى رواه الشيخان في صحيحيْهما ، أيضاً) ، وحديث النيل والفرات من أنهار الجنة ، وما بين البيت والمنبر النبوى روضة من رياض الجنة ، وحديث الضأن من دواب الجنة ، وحديث الحجر الأسود من الجنة ، .. الخ .

* * *

(٢)
توثيـــق النصـــوص

* * *

من المعروف لدى الباحثين أن النصوص الواردة ليست فى نفس الدرجة من الثبوت والنسبة إلى رسول الله ﷺ ، وعليه فلابد فى البداية ، وقـبل بحث جوانب أو وجوه علمية في الحديث ، أن نستوثق من ثبوت الحديث وصحة نسبته إلى الرسول ﷺ ، وذلك وفقاً للمعايير التى وضعها أهـل الحديـث ، سـواء كان هذا مندرجاً فى السنة القولية أم فى السنة الفعلـية أم فـى السـنة التقريرية ، ويشمل هذا الاستيثاق السند والمتن جميعاً .

كمـا يجب على الباحث أن يكون ملماً بالقواعد العامة والأصول اللازمة فى علوم الحديث ، وعلى دراية بمستويات كتب الحديث ، وأقسام الصـحيح ، والمسـتويات الأخـرى للأحـاديـث ، من حَسَنٍ ومقـبول ومـنقطع ، ... الخ . وعلى الباحث ، أيضا ، أن ينقل الحديث بسنده من الكتـب المعـتمدة ، مـن سنن ومسانيد وجوامع وأجزاء وصحائف أئمة الحديـث ، وبـيان صحته أو حسنه أو ضعفه أوغيره ، وبعبارة أخرى : الوقوف على درجة الحديث والحكم عليه .

وعمومـاً ، فـإن تخـريج الحديـث هو : (عزو الأحاديث إلى مخَرجـيها وتتبّعها فى مظانّها ومصادرها والوقوف على أماكنها وأبوابها ومعـرفة مـناهج المصـنّفين ، مـع بذل الجهد والمبالغة وتحرير ذلك

ليستعيض بالسطور ما قالت الصدور ، فتصبح الأحاديث مهما اختلفت مصادرها وتنوعت مواردها عنده كالشاهد الحاضر) [٣٠] .

والمعلومات التى نوردها فى الفقرات التالية ليس الغرض من سوقها وضع مؤلَّف فى هذا الفن ، وإنما ضرب أمثلة للمعارف والعلوم اللازمة للباحث فى جوانب الأحاديث النبوية وإشاراتها العلمية .

هناك العديد من كتب الحديث ، كالجوامع والمسانيد والمعاجم . فالجامع هو ما يحتوي جميع أقسام الحديث (أحاديث العقائد وأحاديث الأحكام وأحاديث الرقاق وغيرها) . ومن الجوامع المعروفة : الجامع الصحيح للبخارى ، والجامع للترمذى . وأما صحيح مسلم فليس بجامع لافتقاره لأحاديث التفسير والقراءة .

وأما المسند فهو ما ذكرت فيه أحاديث الصحابة ، مرتبة هجائيا بحسب أسمائهم ، أو مرتبة بحسب سوابقهم الإسلامية .. الخ . ومن أشهر المسانيد : مسند أحمد بن حنبل . وأما المعجم فهو ما ذكرت فيه الأحاديث بحسب ترتيب الشيوخ ، ومن أشهرها : المعاجم الثلاثة للطبراني ... وهناك كتب حديث أخري ، كالجزء والرسالة والأربعون والمستخرجات والمستدركات ، وكتب العلل ، وهذا ما نجده مبسوطا في كتاب (الحديث في علوم القرآن والحديث) [٣١] .

---

(٣٠) د/ عبد المنعم سيد نجم : التخريج . مجلة منبر الإسلام (القاهرة) ١٠ (٤٣) ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

(٣١) حسن أيوب : الحديث فى علوم القرآن والحديث . دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة . ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .

وأمــا روايــة الحديث فمن العلماء من اشترط أن تكون الرواية بــاللفظ والحــروف ، ومــنهم من رخّص فى روايتها بالمعنى . وقد كان السـلف الصالح يحرصون على الرواية باللفظ ويرون أن الرواية بالمعنى رخصة تُقدَّرُ بقدرها ، وكان منهم من يتقيد باللفظ ويتحرجون من الرواية بالمعنى وممن كان يشدد فى الألفاظ : الإمام مالك – رحمه الله ، فقد منع الرواية فى الأحاديث المرفوعة وأجازها فيما سواها ، رواه البيهقي عنه فى " المدخل " (٣٢) .

ومــن السـلف مَنْ كان يرى جواز الرواية بالمعنى، قال ابن سـيرين : كــان إبراهــيم النخعى والحسن والشعبى يأتون بالحديث على المعاني . والذين أجازوا الرواية بالمعنى إنما أجازوها بشروط وتحَوطات بالغة ، فقالوا : نَقْلُ الحديث بالمعنى دون اللفظ حرام على الجاهل بمواقع الخطــاب ودقائق الألفاظ ، أما العالم بالألفاظ ، الخبير بمعانيها ، العارف بالفرق بين المحتمل وغير المحتمل ، والظاهر والأظهر ، والعام والأعم ، فقد جوَّزوُا له ذلك، وإلى هذا ذهب جماهير الفقهاء والمحدثين (٣٣).

وممــا ينبغي أن يعلم ، أيضا ، أنهم استثنوا من الأحاديث التى جَــوَّزوُا روايــتها بالمعنى الأحاديث التي يُتَعَبَّدُ بلفظها ، كأحاديث الأذكار والأدعية والتشهد ونحوها ، كجوامع كلمه ﷺ (٣٤).

---

(٣٢) د / محمد محمد أبو شهبة : مرجع سابق .
(٣٣) د / محمد محمد أبو شهبة : مرجع سابق .
(٣٤) د / محمد محمد أبو شهبة : مرجع سابق .

(٣)
التثبُّت من المعطيات العلمية الحديثة

* * *

تطور المعارف العلمية :

مـــن المعـــروف أن **الفروض العلمية** ظنون يحاول بها العلماء تفسير بعض الظواهر التى لا يجدون لتفسيرها الواضح دليلا قاطعا . وأما **النظريات العلمية** فهى مجموعة من النتائج تجمع وتنسق لكنها لا تسلم من وجود ثغرات بها أو مآخذ تؤخذ عليها مع تقدم العلم وتطور أدواته ، وقـــد تتغير النظرية بمرور الزمن أو يتم إدخال تعديلات عليها أو تهدم أو ترقى إلى مستوى " الحقيقة " (٣٥).

يقول د / أحمد سليم سعيدان(٣٦) : إن من طبيعة المعرفة العلمية إنهـــا قاصـــرة على الدوام ، غير أنها تراكمية وفى تقدم مستمر ... إنها تقـــارب الحقيقة المطلقة ولا تدركها ، فما نراه (أو نتصوره) اليوم من حقائق ثابتة قد نرفضه فى غد قريب أو نصححه، ومردّ ذلك ليس قصورا فى العلم ذاته، وإنما هو قصور في طبيعة العقل الإنساني . وكلما تكشف

---

(٣٥) د / كارم السيد غنيم : مرجع سابق .

(٣٦) د / أحمـــد ســـليم سعيدان : مقدمـــة لتاريخ الفكر العلمـــى فى الإسلام . العدد (١٣١) ، فى سلسلة عالم المعرفة (الكويت) ، ط١ ، ١٩٨٨ م .

شــيء جديد تكشف معه مجاهل جديدة ، وتكتشف آيات جديدة من بدائع صــنع الخالق : ﴿ قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا (١٠٩) ﴾ [سورة الكهف] ...

ومن الأحوط أن نشرح الأحاديث النبوية ونبحث دلالاتها العلمية باليقيني الثابت من العلوم ، لا بالفروض ولا بالظنون ولا بالنظريات التي هى محل فحص وموضع تمحيص ، إن لم تكن عرضة للإلغاء فى وقت ما مع تقدم العلوم وتوالي الكشوف .

إن ربط النصوص الشرعية (قرآنا و سنة) بالنظريات العلمية المتغـيرة، لا الحقـائق العلمـية الثابتة، قد يؤدي إلى إنكار البعض لهذه النصوص إذا تغيرت النظريات أو تعدلت أو رفضت أو هدمت[٣٧]......!!.

نسبية المعارف العلمية :

لقــد صيغت الحقائق العلمية فى القرآن والسنة بأسلوب بلاغى معجـز ، يفهـم الناس منه في كل عصر بقدر معارفهم وعلومهم ، وذلك من إعجاز الآية أو الحديث ، أنه يأتي بما لا ينكره الناس فى عصورهم ، وفى نفس الوقت فإنها لا توافق الناس على خطأ فى معتقداتهم العلمية . والمــثال الإيضــاحي نجــده فى (موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى)[٣٨] :

---

(٣٧) د / محمد خير حسب الرسول أحمد : مرجع سابق .

(٣٨) د / أحمد شوقي إبراهيم : مرجع سابق .

يقــول رسول الله ﷺ مشيرًا إلى نجم فى السماء : (أتدرون ما بيــنكم وبين هذا النجم؟) قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : (بينكم وبينه خمســمائة عــام) . وقد فهم الناس قديماً أن المسافة بين الأرض وهذا الــنجم هــى مســيرة خمسمائة عام بسرعة الدابة ، وهو ما كان متاحاً لديهــم. أمــا الناس حديثا فإنهم يفهمون نفس هذا القول النبوى بالسنين الضــوئية وليس بسرعة الدابة ، فالمسافة بين الأرض وذلك النجم الذي أشار إليه الرسول ﷺ هى خمسمائة سنة ضوئية .

- مــاذا لــو وقــع تعارض بين نص من الوحى ونظرية أو حقيقة علمية ؟

وضــع الشــيخ / عبد المجيد الزندانى ضوابط للإجابة عن هذا السؤال فى بحثه القيّم (المعجزة العلمية) [٣٩] ، ومنها النقاط التالية :

هــناك نصوص من الوحى قطعية الدلالة ، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية . وفى الوحي نصوص ظنية فى دلالاتها ، وفى العلم نظــريات ظنية فى ثبوتها . ولا يمكن أن يقع صدام بين قطعى من الوحي وقطعــى من العلم التجريبي ، فإنْ وقع فى الظاهر فلابد أنّ هناك خلل في اعتــبار قطعية أحدهما . وقد وضع ابن تيمية فى بيان هذه القاعدة كتابه الضخم : (درء تعارض العقل والنقل) .

إذا وقــع التعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية ، رُفضــت هذه النظرية، لأن النص وحىٌ من الذى أحاط بكل شيء علماً ،

---

(٣٩) عبد المجيد بن عزيز الزنداني : مرجع سابق .

وإذا وقـــع التوافق بينهما كان النص دليلا على صحة تلك النظرية ، وإذا كان النص ظنيا والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها .

وإذا وقـــع الـتعارض بين حقيقة علمية قطعية ، وبين حديث نبوي ظنى فى ثـبوته ، فـيؤوّل الظـنىّ من الحديث ليتفق مع الحقيقة القطعية ، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيُقدَّم القطعىّ .

وعمومًا ، فإنه لا يوجد صدام بين نصوص الوحى القاطعة التى تصـف الكون وأسراره - على كثرتها - وبين الحقائق العلمية المكتشفة - على وفرتها .

وختامًا ، فإنه يجب عدم إخضاع ألفاظ الحديث النبوى أو سياقه العـام ، أو بعـض أجـزائه ، لتوافق النظريات العلمية الحديثة ، وإنما إخضـاع تلك المعطيات لبيان أوجهٍ لم تكن معروفة للسابقين فى الحديث النـبوى ، بمعـنى جعـل الحديث النبوى هو المهيمن والعلم الحديث هو التابع(٤٠).

* * *

---

(٤٠) محمد خير حسب الرسول أحمد : مرجع سابق .

(٤)

الوحدة الكلية ودور القرآن فى فهم الحديث

* * *

الوحدة الكلية والإطار العام للحديث النبوى :

يجب الإلمام بالوحدة الكلية للحديث النبوى ، وبحث إطاره العام، وكذلك دلالاته الجزئية فى ضوء الإطار العام له . ويجب عدم اللجوء إلى اجتزاء ألفاظ أو جمل من الحديث وبحثها دون مراعاة الإطار العام والوحدة الكلية له ... وقد يتضمن الحديث النبوى عدة حقائق علمية أو ظواهر كونية ، ومن ثم وَجَبَ علينا أن نستخرج هذه الحقائق ونبيّن تلك الظواهر من هذا الحديث بالطريقة المنهجية الصحيحة(٤١) .

وقد ضرب صاحب (موسوعة الإعجاز العلمى في الحديث النبوى) مثالاً بآية من القرآن هى الآية الخامسة والعشرين من سورة الحديد : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز(. فلقد درج البعض ممن يتحدثون فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم على التقاط كلمتىْ: (وأنزلنا الحديد(أو كلمتىْ: (ومنافع للناس(، ولم ينتبهوا لبقية الآية، أو الآية التى تسبقها، على الرغم من أن الآية تحتوى وجوهًا عديدة من الإعجاز،

---

(٤١) د/كارم السيد غنيم : مرجع سابق .

الاقتصادى ، وخلق الحديد، وصفاته وخصائصه. كما تحتوى الآية ألفاظ: الكتاب، الميزان، والحديد، فالكتاب هو القوة الإيمانية، والميزان هو القوة العملية، والحديد هو النعمة الفعلية من الله للإنسان (٤٢).

دور القرآن في دراسة السنّة :

إذا كنا دائما نقول إن السنة مفسرة للقرآن ، ومفصلة لمجمله ، وكاشفة لأسراره ، وموضحة لغوامضه ، أىْ إنها هى الشارحة لهذا الدستور العظيم ، أو (المذكرة التفصيلية) له ، فلابد إذن أن تدور السنة فى فلك القرآن ، ولا تتعداه، ولا يتعارض منها شئ – ما دام صحح الرواية والدراية – مع ما ورد بالقرآن العظيم .

وعلى هذا ، يجب ربط السنة بالقرآن عند دراستها وبحث موضوعاتها ، فنأتي بالأحاديث الصحيحة فى موضوع ما ، ونجمعها مع ما وردت به آيات القرآن في نفس الموضوع ، بهذه الاستنارة والاهتداء بهذه الآيات فى فهم نصوص البيان النبوى .

ومن الأمثلة التوضيحية ، نشير إلى مثالين فقط هما : حديث الوائدة والموءُودة فى النار ، وقد رواه أبو داود وغيره ، وهو حديث لابد وأن يكون باطلا ، لأنه ينافي قول الله تعالى : ﴿ وإذا الموءودة سئلت (٨) بأى ذنب قتلت (٩) ﴾ [سورة التكوير] . كما أن حديث (شاوروهن وخالفوهن) في شأن النساء ، لابد وأن يكون مكذوبا ، لأنه ينافى قول الله تعالى – فى شأن الوالدين مع رضيعيهما : ﴿ فإن أرادا

---

(٤٢) د/أحمد شوقي إبراهيم : مرجع سابق .

فصـــالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما (٢٢٣) ﴾ [سورة البقرة] ، وقد فصّل صاحب كتاب (كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟) فى هذا ، ويمكن الرجوع إليه [٤٣].

* * *

(٤٣) د/يوسف القرضاوي : مرجع سابق .

(٥)
خطـــورة ردّ أحـــاديث الآحـــاد

* * *

قـــبل أن نوجز القول فى أحاديث الآحاد – وهى أحاديث صحيحة فـــى الغالـــب – وحجيتّها وخطورة ردّها ، نعرّف بالقسم الأول من أقسام الصحيح ، وهو (الحديث المتواتر) . وخلاصة القول فيه أنه خبر أقوام بلغـــوا في الكثرة إلى حيث حصل العلم بقولهم . ولم يخالف أحد من أهل الإسلام ولا من العقلاء فى أن خبر التواتر يفيد العلم.

ولكـــن ، مـــتى يفيد المتواتر العلم الضـــرورى ؟ (٤٤) لا يكون الخـــبر المـــتواتر مفـــيد للعلم الضرورى إلاّ بشروط ،منها ما يرجع إلى المخبريـــن ، ومـــنها مـــا يرجع إلى السامعين . أما الشروط الواجبة فى المخبرين فهى أربعة : أن يكونوا عالمين لما أخبروا به غير ظانين ، أن يعلموا ذلك من مشاهدة أو سماع ، بحيث لا يحتمل دخول الغلط فيه ، أن يصل عددهم إلى حد يمنع تواطؤهم على الكذب ، وليس هناك عدد معين ، بـــل الضـــابط هو حصول العلم الضرورى به ، وأما الشرط الأخير فهو وجـــود العـــدد المعتبر بكل الطبقات ، فيروى ذلك العدد عن مثله إلى أن يتصل بالمخبر عنه . وقد اشترط البعض فى المخبرين شرط العدالة ، فلا يكونوا كفارا أو فاسقين .

---

(٤٤) حسن أيوب : مرجع سابق .

وأمـــا الشروط الواجبة فى السامعين فهى ثلاثة : العقل ، العلم بمدلـــول الخـــبر ، الخلو عن اعتقاد ما يخالف ذلك الخبر بشبه التقليد أو نحوه .

تعريف خبر (حديث) الآحاد :

قـــال الجمهور فى تعريفه : هو خبر لا يفيد بنفسه العلم ، سواء كـــان لا يفـــيده أصلاً أم يفيده بالقرائن الخارجة عنه . أو هو ما لم ينته بنفسه إلى التواتر، سواء كثر رواته أم قلّوا (٤٥) . أو هو الذي لم يصل نقلـــته مبلغ الخبر المتواتر . أو هو الذي لم يجمع شروط المتواتر . وقد فهم كثير من الناس خبر الآحاد على أنه ما رواه واحد ، وهذا فهم خاطئ تماماً (٤٦) .

إنكار حجية أحاديث الآحاد :

كانـــت بدعة عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد من مزاعم الخوارج والرافضـــة والمعتزلة . أما الخوارج فهى فرقة ظهرت أثناء الخلاف بين علـــىّ ومعاويـــة ، وظهـــرت منهم جماعة يقولون بالقرآن فقط ، وعدم الاحـــتجاج بالســـنة ، وردّ كثير من الأحاديث الثابتة . وأما الرافضة فهم الذين رفضوا زيد بن علىّ بن الحسين ﷺ حين سئل عن أبي بكر وعمر فمدحهمـــا ، فانصرفوا عنه . وهم لم يردّوا أحاديث الآحاد فقط ، بل ردّوا

---

(٤٥) حسن أيوب : مرجع سابق .

(٤٦) د/محمـــد فـــؤاد شاكر : حديث الآحاد ومكانته في السنة . مكتبة الحجاز للنشر و التوزيع (القاهرة)، ط١ ، ١٩٩٤م .

السنة عموماً ، ورفضوا أحاديث صحيحة لأنها لا توافق معتقداتهم . وأما المعـتزلة فهـم فرقة ظهرت فى القرن الثاني الهجري بالبصرة واعترفوا فقـط بالمـتواتر مـن الأحاديـث ولم يعترفوا بأحاديث الآحاد ، وأطلقوا ألسـنتهم في النيل من الصحابة ، وكانوا يحكّمون أهواءهم في الأحاديث بصفة عامة ، مما يوضح محاربتهم للسنة [٤٧] .

شروط العمل بأحاديث الآحاد :

تتنوع هذه الشروط بين شروط في الراوي(المخبر)، وشروط في مدلول الحديث (المخبر عنه)، وشروط في اللفظ الدال (الخبر نفسه). أما التفاصيل فيعرضها صاحب كتاب(الحديث في علوم القرآن والحديث) [٤٨]، وأما موجزها فتتلخص فى شروط الراوي الخمسة ، وهى :

١) **التكليف** ، فـلا تقبل رواية الصبي أو المجنون . ٢) **الإسلام** ، فلا تقـبل رواية الكافر إجماعاً . ٣) **العدالة** ، وتتضمن استقامة السيرة والديـن . ٤) **الضبط** ، فلابـد أن يكون الراوي ضابطاً لما يرويه ، وعلـى ثقة منه في حفظه وقلة سهوه وغلطه . ٥) ألاّ يكون الراوي **مدلّسا** ، سواء في المتن أو الإسناد ، فلا يزيد في كلام الرسول ﷺ ، فيظـن السـامع أن جميع الكـلام من عند الرسول ﷺ ، و لا يدلس فـي الإسناد كأن يبدل الأسماء أو يسـمى شخصاً باسم غير معروف به، .... الخ

---

(٤٧) د/محمد فؤاد شاكر : مرجع سابق .

(٤٨) حسن أيوب : مرجع سابق .

هــذا ، وشــروط مدلــول الخبر ، وشروط لفظ الخبر نفسه، ...... مشروحة في المرجع المذكور ، الذي ذهب صاحبه إلى أن خبر الآحاد لا يضره عمل أكثر الأمة بخلافه ، ولا يضره عمل الراوي له بخلافه ، و لا يضره كونه ما تعم به البلوى ، ولا يضره كونه زيادة على النص القرآني أو الســنة القطعية ، ولا يضره كون راويه انفرد بزيادة فيه على ما رواه غيره إذا كان عدلاً، فقد يحفظ الفرد ما لا تحفظه الجماعة (٤٩).

حجّية أحاديث الآحاد :

نــاقش الدكتور/ محمد فؤاد شاكر هذه القضية ، وأورد العديد من الأدلة علي حجية العمل بخبر الآحاد، سواء أدلة من القرآن أم من السنة أم مــن الإجماع (٥٠). ونوجز هنا ما عرضه هناك تفصيلاً فى دليلين من القرآن ودليلين من السنة . أما القرآن فيقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ..... (١٢٢)﴾ ، والطائفة هنا الواحد أو الاثنان . كما أكده قول الله تعالى :﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ....(٩)﴾ [سورة الحجرات] ، يعنى : نفسين . ومن الأدلــة القرآنية ، أيضاً ، قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ...(٦)﴾ [سورة الحجرات] ، و فــي ذكر المفسرين لسبب نزول هذه الآية ما يدل على قبول خبر الواحد إذا ثبت عدله .

---

(٤٩) حسن أيوب : مرجع سابق .

(٥٠) د/ محمد فؤاد شاكر : مرجع سابق .

أمـــا أدلة السنة ، فمنها قول رسول الله ﷺ : (نضَّر الله عبداً سـمع مقالتى فحفظها ووعاها ، فربَّ حامل فقه غير فقيه ، ورُبَّ حامل فقـه إلـى مـن هو أفقه منه) . وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ ندب شخصـاً واحـداً للقيام بمسئولية سماع مقالته وحفظها ثم تبليغها . ومن الأدلـة ، أيضاً ، أن رسول الله ﷺ بعث اثنى عشر رجلاً إلى إثنى عشر ملكاً يدعونهم إلى الإسلام ، ولو علم رسول الله ﷺ أن رسله إلى الملوك لا يصـلحون إلاّ جماعة ، لأرسل إلى كل ملك جماعة يبلغوه دعوة الله ، ولكـن رسـول الله ﷺ كـان يرسـل واحداً من أصحابه للإبلاغ برسالة الإسـلام، كما أ نه ﷺ كان يرسل آحاداً إلى ولاته فى البلاد المفتوحة ، وذلـك للإبلاغ بالأوامر والنواهى ، وبالرغم من ذلك لم يعص أحد الولاة الأوامر والنواهى التى كان يأتي بها الواحد من عند رسول الله ﷺ .

وخـتاماً ، فهـناك العديد من الموضوعات التى ثبتت عن طريق أحاديث الآحاد ، نذكر منها : الشفاعة العظمى للرسولﷺ في المحشر - معجـزاته ﷺ كلهـا ما عدا القرآن (ومنها : معجزة انشقاق القمر التى جـاءت الأحاديـث الصحيحة تصرح بها) - أحاديث بدء الخلق وصفات الملائكـة والجـن - أحاديـث الحجر الأسود من الجنة - أحاديث أرواح الشـهداء فـي حواصـل طـير خضـر في الجنة - أحاديث عذاب القبر والصـراط والعرش والكرسى - أحاديث أشراط الساعة كخروج المهدى وخروج الدجال ودابة الأرض ، .... الخ.

* * *

(٦)
خطورة ردّ الأحاديث الصحيحة - عموماً

* * *

إن ردّ الأحاديث الصحيحة ، أو الحكم بعدم صحتها ، لا يمكن ان يفــيد فــيه رأي فــردى، بل لابد وأن يكون رأياً علمياً متخصصاً ، ومن جمهــور مشهور بالعلم والصدق والنزاهة والتخصص في علوم الحديث وعلــوم أخرى تدخل فيما يتحدث عنه الحديث ، كعلوم الكون أو العمران أو الطبــيعة ...... وإن كل في السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ومــردود إليه ، ومقيد به ، فلا يناقضه أبداً ، فالقرآن هو (الميزان) الذي نزن به الأحاديث الصحيحة ، فما كان منها متفقاً مع أصول القرآن ، فلا مجــال للبحث فيه ، و ما كان منها متناقضاً مع القرآن ، وكان التناقض قطعــياً لا ســبيل فيه إلى التوفيق ، فهذا هو الذي يصح أن نقف عنده ، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته .

إن المعــتزلة مــن أهــم الفــرق التي كانت تبادر بردّ الأحاديث الصــحيحة إذا عارضت مذهبهم أو لم توافق مسلماتهم ومعتقداتهم، وقد أشــرنا من قبل إلى أن الإمام أبو محمد بن قتيبة (ت٢٦٧هــ) قد وضع كــتابه " تأويل مُختلِف الحديث" للردّ على مزاعم هؤلاء القوم، ودعاواهم أن بعــض الصحاح يعارض القرآن ، أو يخالف العقل، أو يكذّبه العيان ، أو يــناقض أحاديث أخــرى ...... كما ألف الإمام أبو جعفر الطحــاوى

(ت٣٢١هـ) كتابه " مشكل الآثار " لبحث هذا الموضوع ودراسة الأحاديث المشكلة والبحث لها عن تأويلات مقبولة .

ولكن، **متى يكون الحديث النبوى مخالفاً للعقل ؟ وهل يجوز إنكار الحديث لمخالفته للعقل** ؟ إن العقل المقصود هو مجموع عقول العقلاء من أهل الاختصاص في المسألة التي يتحدث عنها الحديث النبوى، فإن كان الحديث يبحث في الطب فإجماع الأطباء يكون هو المقصود بالعقل ، وإن كان الحديث يبحث في التشريع ، فإجماع علماء التشريع هو المقصود بالعقل ... ويبقى الحديث النبوى (في مسألة معينة) مؤيداً من عقول بعض المتخصصين ، ومُعَارضاً من البعض ، وهذا في حالة عدم الإجماع على صحته، وهذا لا يلغى العمل بالحديث النبوى (٥١).

وقد ناقش صاحب كتاب (كيف نتعامل مع السنة ؟) (٥٢) هذا الموضوع ، وَعَدَّ ردّ الأُحاديث الصحاح الثابتة من العُجْب والتعالم على الله ورسوله ، وسوء الظن بالأمة وعلمائها وأئمتها في أفضل أجيالها ، وخير قرونها . وذهب إلى أنه إذا كان قبول الأحاديث المكذوبة يُدْخِلُ في

---

(٥١) محمد نور سويد : هل يجوز إنكار حديث نبوى لمخالفته للعقل ؟ مجلة الوعى الإسلامي (الكويت) (٤١٠) ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م. ونحن من جانبنا لا نرى الإجماع حتما لازما للقطع بمسايرة النص للعقل ، ولماذا لا يكون قول الجمهور على الترجيح حجة في ذلك ؟ فإن كثيرا من حالات الإجماع محل نظر في ربطها بالعقل والعكس صحيح في بعض الأحيان ، إذ قد يكون قول الجمهور سديدا تماماً ...!!

(٥٢) د/ يوسف القرضاوي : مرجع سابق .

الديــن ما ليس منه ، فإن ردّ الأحاديث الصحيحة يُخْرِجُ من الدين ما هو منه ، ولا ريب أن كليهما مرفوض : قبول الباطل وردّ الحق .

وضــرب صــاحب الكــتاب أمثلة للأحاديث الصحيحة التي ردها الــبعض ، ومــنها حديث الرسول ﷺ : (اللهم أحيني مسكيناً ، وامتني مســكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين)، وهو الحديث الذي رواه ابن ماجــه عــن أبي سعيد الخدري ، ورواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن رسول ﷺ. فلقد فهم بعضهم من المسكنة الفقر من المال ، والحاجة إلــى الناس ، وهذا ينافى استعاذة النبي ﷺ من فتنة الفقر ، وسؤاله من الله تعالى العفاف والغنى ... والحق أن (المسكنة) هنا لا يراد بها الفقر ، إنمــا المراد بها التواضع وخفض الجناح ، أراد به التواضع والإخبات ، وألاّ يكــون مــن الجبارين المتكبرين (٥٣) . وقد أخطأ ابن الجوزى عندما حكم عليه بالوضع تأسيسا على مخالفته للقرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾.

كما ردّ المعتزلة الأحاديث الصحيحة التي تثبت الشفاعة للرسول ﷺ فــي الآخرة ، وكذلك لإخوان الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين ، فــي عصــاة الموحدين ، ويزعمون أن القرآن ذاته نفى الشفاعة ، بمثل قــول الله تعــالى : ﴿ ويعــبدون مــن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولــون هــؤلاء شــفعاؤنا عــند الله (١٨) ﴾ [سورة يونس] . وفى الحقيقة، فإن هذه شفاعة شركية أبطلها القرآن بأكثر من آية ، فقد أبطل

(٥٣) ســنزيد هذا الكلام تفصيلاً في القاعدة رقم (١٢) : الجمع والتوفيق بين النصوص الصحيحة المتعارضة .

أن تكـــون للآلهة المزعومة شفاعة ، وأن يكون للمشركين شفيع يطاع : ﴿ مـــا للظالميـــن مـــن حمـــيم ولا شفيع يُطاع (١٨) ﴾ [سورة غافر] . واحتجاج المعتزلة بالشفاعة المنفية بتعميم النفى خطأ جسيم ، فلقد فاتهم أن الشفاعة ثلاث مراتب أو ثلاثة أنواع : شفاعة ثابتة ، شفاعة منفية ، وشفاعة مقيدَة بالإذن بها . ليس هذا فحسب ، بل أنكروا رؤية الله تعالى فى الآخرة ملتفتين تماما عن الأحاديث الصحيحة في هذا الشأن .

هــذا ، وأحاديث الشفاعة كثيرة ، وهى أحاديث صحيحة ثابتة ، منها قول رسول الله ﷺ : (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجـنة ، ويُسَـمَّوْن الجهنميـين) رواه أحمد والبخاري. والشفاعة في الآخرة أثبتها القرآن بشرطين:

١) أن تكـــون بعد إذن الله تعالى للشافع أن يُشَفَّع : ﴿ مَنْ ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (٢٥٥) ﴾ [سورة البقرة] . ٢) أن تكون الشفاعة لأهل التوحيد : ﴿ ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى (٢٨) ﴾ [سورة الأنبياء] (٥٤).

* * *

(٥٤) د/ يوسف القرضاوي : مرجع سابق .

(أ)
أبرز معالم حديث خلق العالم

* * *

لقــد ثارت الزوابع – ولا تزال – حول حديث خلق الكون الأرضى ، المروى فى صحيح مسلم ، أكثر مما ثار حول (حديث الذباب) ، هذا على الــرغم من أنه حديث صحيح . وقد درس د / سعد المرصفى هذا الحديث وناقش قضيته بعد أن جمع بين أطراف النقاش المحتدم ، وذلك في بحثه القيم(مشكل الحديث) (٥٥). ولماَ كان الموضوع جد خطير ، وجدنا أنه من الضـــرورى أن نثبـــت هنا موجز ما توصل إليه صاحب البحث، وذلك في الفقرات القليلة القادمة .

روى مسـلم فـي صـحيحه قـال : حدثني سريج بن يونس ، وهــارون بــن عــبدالله ، قالا : حدثنا حجّاج بن محمد ، قال : قال ابن جــريج: أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلــق الله عــز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعــاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد

---

(٥٥) د/ سعد محمد محمد الشيخ المرصفي : مرجع سابق .

العصر من يوم الجمعة ، فى آخر الخلق ، فى ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل) . قال إبراهيم : حدثنا البسطامى (وهو الحسين بن عيسى) ، وسهل بن عمار ، وإبراهيم بن بنت حفص ، وغيرهم ، عن حجاج ، بهذا الحديث ، وهذا سند مسلم ولفظه . ورواه أحمد باختصار ، وابن معين ، وابن منده ، والدولابي الثقفي ، والبيهقي .

قال ابن كثير عند تفسير قول الله تعالي ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض فى ستة أيام ... (٥٤) ﴾ [سورة الأعراف] : هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ،وقد تكلم عليه ابن المديني ، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعلوه مرفوعًا ، وقد حرّر ذلك البيهقي .

وقال البخاري فى التاريخ : وقال بعضهم عن كعب ، وهو أصح، يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار، فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن صحفه ، وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبىﷺ ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعًا إلى النبى ﷺ ، وأكد رفعه بقوله : (أخذ رسول الله ﷺ بيدي ....) .

وفى متن هذا الحديث غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه قصة خلق الأرض وما فيها فى سبعة أيام ،

وهذا خلاف القرآن ، لأن الأرض خلقت فى أربعة أيام، ثم خلقت السموات فى يومين من دخان (وهو ما يفهم من ظاهر اللفظ فى بعض الآيات) .

وزعـم صاحب (تفسير المنار) أن هذا الحديث من الإسرائيليات، فقال : قد ورد فى الأخبار والآثار أن هذه الأيام الستة هى من أيام دنيانا، واقتصر عليه بعض مفسرينا ، وذكر الحديث ، وقال : وهذا ظاهر في أن الخلق كان جزافا ودفعة واحدة لكل نوع في يوم من أيامنا القصيرة .

فـالجواب : إن كل ما روى فى هذه المسالة من الأخبار والآثار مأخوذ من الإسرائيليات لم يصح فيها حديث مرفوع ، وحديث أبى هريرة هذا – وهو أقواها – مردود بمخالفة متنه لنص كتاب الله ... وأما سنده ، فلا يغرنّك رواية مسلم له، فهو قدر رواه – كغيره–عن حجاج بن محمد الأعور المصيصى عن(ابن جريج، وهو قد تغيّر فى آخر عمره، وثبت أنه حدّث بعد اختلاط عقله، كما في قول "تهذيب التهذيب" وغيره. والظاهر أن هـذا الحديث مما حدّث به بعد اختلاطه(أيْ:اختلال عقله واضطراب قوة حافظته) .

وجـاء أبو رية [٥٦] فكذّب هذا الحديث ، ووصفه بأنه افتـراء على رسول الله ﷺ ، وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن

---

(٥٦) مـا لـم يذكره الباحث هو أن محمود أبو رية قد نشر مقالة فى مجلة الرسـالة (المصـرية) بعددهـا رقم(٦٣٣)الصادر فى شهر رمضان١٣٦٤هـ (أغسـطس١٩٤٥م) تحـت عـنوان(الحديث المحمدى) ضمنّه آراءه فى بعض الأحاديث، ثم أضاف إليه ونشره كتابا بعنوان (أضواء على السنة المحمدية) في عـام١٣٧٧هـ(١٩٥٨م). وقد أحدث هذا الكتاب بلبلة فى الأفكار عند من لم يـتعمقوا فى السـنة. وقد قام د/محمد محمد أبو شهبة بتفنيـد هـذه الآراء =

كعب الأحبار ، وأنه مخالف للكتاب العزيز . وقال : وقد بلغ من دهاء كعب الأحبار واستغلاله لسذاجة أبى هريرة وغفلته ، أن كان يلقنه ما يريد بثه فى الدين الإسلامي من خرافات ، حتى إذا رواها أبو هريرة ، عاد هو فصدّق أبا هريرة ، وذلك ليؤكد هذه الإسرائيليات ، وليمكّن لها من عقول المسلمين ، كأن الخبر قد جاء عن أبي هريرة ، وهو فى الحقيقة عن كعب الأحبار!!

وقال د / محمد أبو شهبة : هذا الحديث قد تنبّه إليه المحدّثون من قديم الزمان ، وأعلّوه ، وتكلموا فيه . فمنهم من قال : إنه غير ثابت ، لأن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبى يحيى ، وإبراهيم لا يُحتَجُّ به، فقد سئل عنه علّى بن المدينى (شيخ البخاري) فقال : وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلاّ من إبراهيم أبن ابى يحيى. وإبراهيم بن أبي يحيى هذا قال فيه الإمام أحمد بن حنبل : كان قدريّا معتزليا جهميا ، كل بلاء فيه ، ترك الناس حديثه ، وكان يضع(أيْ يختلق الأحاديث ويؤلفها) . وقال فيه ابن معين ، أيضا: كذّاب رافضى . وعلى هذا ، فإن السند لا يُثبت متن الحديث .

ومنهم مَنْ أنكر رفع الحديث إلى النبيﷺ ، وأن أبا هريرة إنما أخذه من كعب الأحبار ، وأن بعض الرواة وَهَمَ فى رفعه ، والأصح وقفه على كعب . وإلى هذا ذهب إمام الأئمة البخارى فقال : (رواه

= ودحضها سواء على صفحات مجلة الأزهر أم فى كتابه (دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين) .

بعضهم عن أبى هريرة عن كعب الأحبار ، وهو الأصح) ، ووافقه على هذا العلامة ابن كثير ...

ومهما يكن من شىء ، فأبو هريرة برئ مما غمزه به أبو رية ولمزه واتهمه من رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ، والكذب عليه ، حتى صار يتهكم بأبى هريرة ما شاء له هواه أن يتهكم ، ويزيد فى ذلك ويعيد، لأنه إن كان الأمر كما قال ابن المدينى ومَنْ تابعه ، فيكون أبو هريرة برىء كل البراءة من تبعة هذا الحديث ، ويكون كل ما نسب إلى أبى هريرة فى الحديث من لفظه ومن سماعه ، وقوله : (أخذ رسول الله ﷺ بيدي) غير ثابت ، ولا يَعْدُو أن يكون مجرد افتراء ، قصد به الواضع التلبيس والتمويه وإظهار الباطل المزوّر في صورة الحق الثابت المؤكد....

وكما دافع د/ أبو شهبة، دافع د/ محمد السماحى، وردّ على أبى رية فى تهكمه على هذا الصحابى الجليل ، فقال: لم يكن أبو هريرة بحاجة إلى أن يحدّث عن كعب عن رسول الله ﷺ ، حتى يحمل ما عنعنه أبو هريرة على أنه عن كعب، وأبو هريرة قد غش بذلك الأمة ، وانخدع به الصحابة ، وكبار التابعين ، ونقلوا عنه ما رواه عن كعب على أنه من رسول الله ﷺ ، وأوقع العلماء بعد ذلك فى هذا اللبس. إن الذي قرره العلماء أن الصحابى، إذا قال : قال رسول الله ، أو عن رسول الله ،حمل على السماع ما لم يصرّح أو تقم قرينة على أنه رواه عن صحابى عن رسول الله ﷺ .

وقد قام جماعة من العلماء بتصحيح هذا الحديث ، ومنهم الشوكاني ، وبينّوا أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن ، فإن القرآن

ذكر أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها فـــي يوميـــن ، والحديـــث إنما بيَّن أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً فى ستة أيام ، يحتمل أن تكون هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة الـــتى ذكـــرها الله تعـــالى فى خلق السموات والأرض ، وحينئذ لا تكون معارضة، وإنما الحديث فصَّل كيفية الخلق وحدها ، والله اعلم .

وفـــى الختام يورد د / سعيد المرصفى – صاحب البحث الأصلى – قول الله تعالى : ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧)﴾ [سورة الحج] ، ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٤)﴾ [سورة المعارج]، ﴿ ما أوتيتم من العلم إلا قليلا (٨٥) ﴾ [سورة الإسراء] . ثم يقول : ويسعنا ما وسع الصحابة الأعلام حينما سمعوا الأحاديث المشكلة وصـــدّقوا ولـــم يطعـــنوا لمجـــرد أن العقل لا يستطيع أن يدرك المعنى . ويســـعنا، أيضا ، أن لا نكون ممن يردُّون ما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويلـــه ، وأن لا نخالف إجماع المسلمين ، سلفا وخلفا ، فى تصديق أبى هريرة ﷺ ، وفى عدم الخوض فى المتشابه ما دام قد صح سندًا ومتنًا ، وهذه الأيام التى خلق الله عزّ وجلّ فيها هذا الخلق ، غيب لم يشهده أحد من البشر ...

ثـــم يأتي **التحقـيق العلمى لهذا الحديث النبـوى** الصحيح حديثا جدا ، فلقد تناول صاحب (موسوعة الإعجاز العلمي فى الحديث النبوى) – الجـــزء الثانـــي[٥٧]– هـــذا الموضـــوع، وقدّم محاولة عظيمة لإزالة

---

(٥٧) د / أحمد شوقي إبراهيم : موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوى. دار نهضة مصر (القاهرة)، ج٢ ، ط١ ، ١٤٢٤ هـــ/٢٠٠٣م.

التعارض (الظاهري) بين هذا الحديث النبوى (الذي يتحدث عن خلق العالم فى سبعة أيام) وبين آيات سورة فصلت (التى تتحدث عن خلق العالم - بما فيه السماء - فى ستة أيام أو ثمانية أيام ، بحسب العدّ المتعجل للأرقام المذكورة فى الآيات).

بدأ صاحب الموسوعة تحقيقه بذكر رواية مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق ادم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة ، فى آخر الخلق ، فى ساعة من النهار ، فيما بين العصر إلى الليل) ... ثم قال :

ذكر الحديث النبوى الشريف ترتيب ظهور المخلوقات على الأرض من قبل أن يعلم العلماء عنها شيئا بأربعة عشر قرنا من الزمان مما يعد إعجازا علميا عظيما ، ومما يدل على أن الرسول ﷺ كان يُوحى إليه فى كل أمر من أمور الحياة الدنيا ، وليس فى أمور العبادات والشرعيات فقط ... يقول العلماء : إن البكتريا النباتية هى أول النباتات التى ظهرت على الأرض ، ثم ظهرت الطحالب بكل أنواعها بعد ذلك . وساعدت تلك النباتات الأولية على إنتاج غاز الأوكسجين فى جو الأرض، وبذلك مهدت لظهور الحشرات والكائنات الحية الدقيقة .

وانقضت نحو (١٦٠٠) مليون سنة قبل ظهور النباتات ذات السيقان ، وظهرت الأعشاب البحرية فى العصر الديفونى (منذ نحو ٤٠٠ مليون سنة) ، وفى هذا العصر كانت النباتات ذات السيقان قد

بدأت فى الظهور على اليابسة ... وفي العصر الكربوني (منذ نحو ٣٠٠ مليون سنة) ظهرت النباتات ذات الأوراق الحقيقية . وفى نهاية العصر الكربونى (منذ ٢٤٠ مليون سنة) ظهرت السراخس ذات البذور ، التى منها تكونت الأحافير الفحمية فيما بعد . ويقول العلماء : إن السراخس الشجرية التى تنمو حاليا فى المناطق الاستوائية تشبه إلى حد كبير السراخس التى ظهرت فى العصر الكربونى منذ (٣٠٠) مليون سنة مضت .

وكانت الأرض فى أول خلقها كرةً من النار ... ومرت مئات الملايين من السنين حتى بردت قشرتها الخارجية بسبب هطول الأمطار الغزيرة عليها ... ولكن البراكين الثائرة ظلت منتشرة على سطح الأرض فى أعداد هائلة جداً ، ومن هذه البراكين تكونت الجبال البركانية ... ومعها تكونت الجبال الرسوبية وأنواع الجبال الأخرى ... ومن الجبال نشأت منابع الأنهار ... وما أن توفرت مياه الأمطار والأنهار والآبار حتى ظهرت النباتات ... ومرت مئات الملايين من السنين ، حتى ظهرت النباتات ذات السيقان والتى تحمل الثمار . وارتفع مستوى الأوكسجين فى جو الأرض ... وما أن تهيأت الحياة لظهور الدواب حتى خلق الله الدواب، فوجدت رزقها أمامها متوافرًا ... وأخيرا ظهر آخر المخلوقات وهو (الإنسان) .

العلماء يؤكدون اليوم بناءً على دراساتهم في علم طبقات الأرض وعلم الأحياء أن كل ما على الأرض ظهر على مراحل .. أول الخلق كانت التربة ، ثم تكونت الجبال فنشأت الأنهار ، فظهرت النباتات ،

وبذلــك أصــبحت الأرض مهــيأة لظهــور الدواب عليها . وأخيراً ظهر الإنســان، الساكن الجديد لهذه الأرض ... لم يكن هذا الترتيب في ظهور المخلوقــات على الأرض معروفاً قبل عصور العلم الحديثة ... وما خلق الله تعــالى الإنســان إلاّ بعـد أن خلق الأرض ووفر فيها الماء والنبات والدواب ، وسخر كل ذلك للإنسان .

أخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ﷺ قــال : إن اليهود أتت النبىﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقــال ﷺ : (خلــق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت ، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الاثنين ، وخلق الأنهار يوم الثلاثاء ، وخلق الشجر يوم الأربعاء)

ولقد أثبتت الدراسات العلمية فى عصر العلم الحالى هذا التسلسل فى ظهور المخلوقات على هذه الأرض ... الأرض خُلقت أولاً ، ثم ظهرت البراكيــن فتكونــت الجبال ، ومن الجبال نبعت الأنهار ، فما من نهر إلاّ وينــبع مــن جبل ، وما أن توفرت المياه العذبة حتى ظهرت النباتات ، وبظهور النباتات توفر الغذاء ، وتوفر غاز الأوكسجين فى الجو ، وبذلك اكتملت كل أسباب الحياة للدواب ، فخلق الله الدواب ... وبعد ذلك بزمن طويــل خلــق الله تعــالى (الإنســان) آخر المخلوقات ... لم يكن ذلك التسلســل فــى الخلق معروفًا قبل عصرنا الحالي ، إلاَ أن الحديث النبوى الشــريف الذى أخرجه ابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي ، ذكره تفصــيلا...كمــا نجــد في رواية مسلم للحديث النبوى نفس الترتيب فى ظهــور المخلوقات على الأرض ، الذى اكتشف العلماء حديثا : التربة ثم الجبال ثم النباتات ثم الدواب ثم الإنسان، مما يُعَدُّ إعجازًا علميا كبيرا...

وبذلــك أصــبحت الأرض مهــيأة لظهــور الدواب عليها . وأخيراً ظهر الإنســان، الساكن الجديد لهذه الأرض ... لم يكن هذا الترتيب في ظهور المخلوقــات على الأرض معروفاً قبل عصور العلم الحديثة ... وما خلق الله تعــالى الإنســان إلاّ بعــد أن خلق الأرض ووفر فيها الماء والنبات والدواب ، وسخر كل ذلك للإنسان .

أخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ﷺ قــال : إن اليهود أتت النبىﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقــال ﷺ : (خلــق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت ، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الاثنين ، وخلق الأنهار يوم الثلاثاء ، وخلق الشجر يوم الأربعاء)

ولقد أثبتت الدراسات العلمية فى عصر العلم الحالى هذا التسلسل فى ظهور المخلوقات على هذه الأرض ... الأرض خُلقت أولاً ، ثم ظهرت البراكيــن فتكونــت الجبال ، ومن الجبال نبعت الأنهار ، فما من نهر إلاّ وينــبع مــن جبل ، وما أن توافرت المياه العذبة حتى ظهرت النباتات ، وبظهور النباتات توفر الغذاء ، وتوفر غاز الأوكسجين فى الجو ، وبذلك اكتملت كل أسباب الحياة للدواب ، فخلق الله الدواب ... وبعد ذلك بزمن طويــل خلــق الله تعــالى (الإنســان) آخر المخلوقات ... لم يكن ذلك التسلســل فــى الخلق معروفًا قبل عصرنا الحالي ، إلاَ أن الحديث النبوى الشــريف الذى أخرجه ابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي ، ذكره تفصــيلا...كمــا نجــد في رواية مسلم للحديث النبوى نفس الترتيب فى ظهــور المخلوقات على الأرض ، الذى اكتشف العلماء حديثا : التربة ثم الجبال ثم النباتات ثم الدواب ثم الإنسان، مما يُعَدُّ إعجازًا علميا كبيرا...

(ب)

تنبيه الألباب إلى حديث الذباب

* * *

اتخذ بعض مَنْ لا دين لهم (حديث الذباب) تكئة للتنديد بالدين ، وأنكره بعض ضعاف الإيمان ، وحاول المستنيرون من المتدينين أن يبحثوا عن تأويل مقبول له ، لمواجهة استهجان بعض المتخصصين فى العلوم والطب ، أو سخرية البعض الآخر من نص هذا الحديث النبوى ...

ونحن - فيما يلى من صفحات لا ندَّعي أننا سنأتى على جميع جوانب الموضوع ، وإنما بحسب ما توافر لدينا من مراجع ، وما أسعفنا به الوقت ، سنوضح جوانب فى الموضوع ، ونجلي أوجهاً من الغموض الذي واجه البعض فى فهم هذا الحديث النبوى الشريف .

- **الحديث النبوى : سندًا ومتنًا :**

روى البخاري فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن أبى هريرة قول رسول الله ﷺ : (إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) . ذكره البزار، وكذلك التبريزى فى (مشكاة المصابيح)، وابن حجر فى (تلخيص الحبير).

وروى البخاري فى صحيحه وابن ماجه فى سننه وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله ﷺ : (إذا وقع الذباب فى

شراب أحدكم فليغمسه - كله - ثم لينزعه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) . ذكره البزار ، وكذلك التبريزي فى (مشكاة المصابيح) ، وابن حجر فى (تلخيص الحبير) .

وروى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فامقلوه ، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) . وامقلوه يعنى إغمسوه ،كما ورد فى النهاية لابن الأثير.

وروى ابن ماجه فى سننه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: (أحد جناحىْ الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع فى الطعام، فامقلوه، فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء) .

وروى النسائى وابن ماجه فى سننيهما عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: (إن فى أحد جناحىْ الذباب سم والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام ، فامقلوه ، فإنه يقدّم السم ويؤخر الشفاء) .

هذا ، وقد أورد صاحب (مصباح الزجاجة) (٥٨) حديثا مختصرا عن النسائي فى (السنن الصغرى) عن عمرو بن على عن يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب ، بلفظ : (إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليمقله) .

---

(٥٨) الشهاب أحمد بن أبى بكر البوصيرى : مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه . تحقيق : موسى محمد على ، عزت على عطية ، دار الكتب الإسلامية (القاهرة) ، ج٣ ، ط١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

وعن ابن أبى ذئب حدّث أحمد في مسنده ، أيضا ، فقال : حدّثنا يحـيى ، حدّثنا ابن أبى ذئب قال : حدثني سعيد بن خالد عن أبى سلمة ، عـن أبى سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : (إذا وقع الذباب في طعام أحدكم فامقلوه) .

وروى أحمد في مسنده ، أيضاً ، عن بشر بن مفضل ، عن ابن عجـلان عن سعيد المقبري ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا وقـع الذبـاب في إناء أحدكم ، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ، وإنه يتقى بجناحه الذي فيه الداء ، فليغمسه كله) .

وروى أحمـد فـي مسـنده ، أيضاً ، عن وكيع عن ابراهيم بن الفضـل ، عـن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: (إذا وقع الذباب في طعام أحدكم أو شرابه فليغمسه إذا أخرجه ، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ، وإنه يقدّم الداء) .

وروى أحمـد في مسنده ، أيضاً ، عن يونس ، عن ليث ، عن محمـد ، عن القعقاع ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنـه قال:(إن الذباب في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، فإذا وقع في إناء أحدكم فليغمسه، فإنه يتقى بالذي فيه الداء، ثم يخرجه).

روى الدارمـي فـي سننه عن سليمان بن حرب، عن حماد بن سـلمة، عـن ثمامة بن عبد الله ابن أنس، عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء) .

وروى البخاري في صحيحه عن قتيبة ، عن اسماعيل بن جعفر، عن عتبة بن مسلم مولى بنى تيم ، عن عبيد بن حنين مولى بنى زريق، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء) .

تتبّع صاحب كتاب (الإصابة) (٥٩) سند حديث الذبابة في باب كامل من كتابه ، وجعل الفصل الأول فيه حول طرق هذا الحديث ، والفصل الثاني فيه حول دراسة أسانيد هذا الحديث . أما طرق الحديث فتناول فيها خمساً ، هى : طرق حديث أبى هريرة ، طرق حديث أبى سعيد الخدري ، طرق حديث أنس بن مالك ، وطرق حديث علىّ بن أبى طالب ..

أما حديث أبى هريرة فقد رواه البخاري من طريقين ، ورواه كل من أبى داود وابن ماجه من طريق واحد ، وأخرجه أحمد بن حنبل من عشر طرق ، ورواه الدارمي من طريقين ، ورواه البيهقي من ثلاث طرق، ورواه كل من ابن خزيمة وابن حبان وابن الجارود من طريق واحد ، ورواه الطحاوي من ست طرق ، ورواه البغوي من ثلاث طرق ، ورواه ابن السكن وابن عبد البر ، .. الخ . هكذا ، حتى أحصى صاحب الكتاب أربعاً وثلاثين طريقاً من حيث الإجمال ، واثنين وأربعين طريقاً من حيث التفصيل ، وقد أثبت رواة الحديث كل هذه الطرق .

---

(٥٩) د/ خليل إبراهيم ملاّ خاطر : الإصابة فى صحة حديث الذبابة . دار القبلة للثقافة الإسلامية (الرياض – السعودية) ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

ثم تناول طرق حديث أبى سعيد الخدري (للذبابة) ، وقد أخرجه أحمد بن حنبل من طريقين ، وكل من النسائي وابن ماجه وابن حبان وأبى داود الطيالسي والبيهقي وابن قتيبة وأبى عبيد وابن عبد البر والبغوي وعبد بن حميد ، من طريق واحد ، ورواه الطحاوى من طريقين، وكذلك الطبرانى وأبو يعلي والحاكم .. إلخ .

وكذلك فعل صاحب الكتاب بالنسبة لطرق الحديث عند أنس بن مالك وعند علىّ بن أبى طالب . وأما رواية الأخير - كَرَّمَ الله وجهه - فأخرجها ابن النجار ، ولفظها : (في الذباب : أحد جناحيه داء ، وفي الآخر شفاء ، فإذا وقع في الإناء ، فأرسبوه ، فيَذْهَبَ شفاؤه بدائه) .

ثم تناول صاحب الكتاب دراسة أسانيد الحديث من طرقه المختلفة ، وأثبت في هذه الدراسة بما لا يدع مجالاً لشك صحة هذا الحديث ، فهو إذن حديث صحيح ، بل هو من أعلى درجات الصحة . ثم ختم بقوله : إن هذا الخبر (أيْ : حديث الذباب) قد كثرت طرقه بحيث زادت على خمسين طريقا ، كما هو مرسوم في " شجرات الرواية " ، لكل من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وأنس - رضى الله عنهم أجمعين . كما أن هذه الطرق قد وردت بأسانيد صحيحة ورجالها ثقات .. وبهذا يتبيّن أن هذا الحديث قد صُحِّحَ من حيث الرواية والسند ، وأن حكم أئمتنا عليه بالصحة قول صحيح سليم ، لا غبار عليه ، وأن من خالف وأنكر - من حيث الرواية - فعليه البرهان ، وهيهات ، وأنىَّ له ذلك ، وقد رواه الأئمة الثقات الأثبات ، والحمد لله .

وفي الباب الثاني من كتابه ، درس د/ خليل خاطر[٦٠] (متن الحديث) وبيَّن الخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس ، وهو (عدم التفريق بين المستحيل والمستغرب) ، لأن المستحيل يعود إلى أصل الشيء ونكرانه ، ولكن المستغرب يعود إلى ضعف القائم بالتصور وعدم إدراكه.. (فإذا جاءت هذه الأحاديث من طرق ثابتة تفيد القطع ، فيجب اعتقادها ، ولا يصح إنكارها ، **لأن إنكار المقطوع به كفر** ، والعياذ بالله تعالى. وهذا واضح إذ كم من أمر جاء موافقاً لما قاله ﷺ، بعد سنين أو مئات السنين . وإن جاءت هذه الأحاديث عن طريق غلبة الظن ، فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها ، بل يلزمه التأني ، والسؤال عن صحة الخبر ، حتى لا يقع في التناقض بعد ثبوته .

وبهذا نرى كثيراً من الناس لا يفرقون بين ما يرفضه العقل ويحكم باستحالته ، وبين ما يستغربه ، فيساوون بينهما في سرعة الإنكار والتكذيب ، وهذا جهل فاضح ، وتجنٍّ على الحقائق ، وغرور في النفوس ، وتقديس للعقول .. على أننا نرى من الاستقراء التاريخي ، وتتبع التطور العلمي ، والفكري ، أن كثيرا مما كان غامضا على العقول، أصبح مفهوما وواضحاً ، بل نرى كثيرا مما كان ينكره العقل ، أصبح الآن يقره ، ويسلِّم بوجوده ، وصار عنده من الحقائق ..

وهكذا يكون (حديث الذباب) قد رواه العديد من المحدثين وأثبتوه في كتبهم ، ولم يوجد لأحد من نقَّاد الحديث طعناً في سنده ، فهو

---

(٦٠) د/ خليل إبراهيم ملا خاطر: نفس المرجع ، ويحتوى جداول إحصائية أطلق عليها المؤلف اسم " شجرات الرواية " .

في درجة عالية من الصحة ، وكل ما وقع من الطعن فيه من بعض المتساهلين إنما هو من جهة متنه ومدلوله ، فقد قالوا : كيف يكون الذباب الذي هو مباءة الجراثيم فيه دواء؟ وكيف يجمع الله الداء والدواء في شئ واحد ؟ وهل الذباب يعقل فيقدّم أحد الجناحين على الآخر ؟ (٦١).

وإذا كان البعض قد ادّعى أن الحديث غير صحيح ، وأنه يتعارض مع الآية القرآنية: (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه.......)، فإن الآية لا تخص الذباب وليست في قضيته ، وإنما جاء الذباب في معرض ضرب المثل لمن يعبدون الأصنام ، بأن الأصنام لا تقدر على خلق الذباب مع صغره ، ولو اجتمعوا لخلقه ، ثم بيَّن غاية جهلهم بأن هذه التماثيل لا تقدر على خلق أقل الأحياء ، ولا تقوى على مقاومته ، أو استنقاذ ما يختطفه منها ، فقال الله تعالى : (يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ([سورة الحج] (٦٢) .

إن حديث الذباب إسناده صحيح .. وجميع رواياته متصلة وصحيحة ، وزادت عن عشرين طريقا(٦٣) . أما من حيث المتن ، فإن

---

(٦١) د/ محمد محمد أبو شهبة : مرجع سابق .

(٦٢) د/ أحمد عمر هاشم : السنة النبوية في مواجهة التحدي . سلسلة البحوث الإسلامية-مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (مصر)، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

(٦٣) د/ أحمد عمر هاشم : نفس المرجع .

الذباب مما يتعذر دفعه كثيراً ، وتصعب الوقاية منه في كثير من الأحوال، فإذا دعت الضرورة ووقع الذباب في الطعام ، فإن الحديث النبوي يكشف عـن وجـود مواد مضادة لكثير من الأمراض ، فإن نحن غمسنا الذبابة وخـرج مـنها السائل قتلت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية ، وهـذا غير مرفوض عقلياً ، وإن كان مستغرباً، والغرابة تأتي من الجهل بمادته ، ولأن النفس تعافه(٦٤) .

يقـول ابن قتيبة : إن مَنْ حَمَلَ أمر الدين على ما شاهد ، فجعل الذباب لا يعلم موضع السم ، موضع الشفاء ، واعترض على ما جاء في الحديث ممـا لا يفهمـه ، **فإنـه منسلخ من الإسلام ، مخالف لما جاء به الرسول** ﷺ ، وما درج عليه الأخيار – من صحابته – والتابعون . ومن كذّب ببعض ما جاء به رسول الله ﷺ ، كمن كذّب به كله(٦٥) .

ويقول الخطابي : تكلم على هذا الحديث مَنْ لا خلاق له ، فقال: كـيف يجتمع الشفاء والداء فى جناحيْ الذباب ؟ كيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدّم جناح الداء ، وما ألجأه إلى ذلك ؟ قال : وهذا سؤال جاهل ، أو مـتجاهل ، فإن كثيرا من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة ، وقد ألف منها وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان . وإن الذى ألْهم الـنحلة البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه ، وألْهم النملة أن تدّخر قوتها أوان حاجـتها ، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تُستنبت ، لقادر على إلْهام

---

(٦٤) د/ أحمد عمر هاشم : نفس المرجع .

(٦٥) " الأنوار الكاشفة " لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، نقلاً عن د/ أحمد عمر هاشم : مرجع سابق .

الذبابـــة أن تقـــدم جناحاً وتؤخر الآخر... وقال أبن الجوزى : إن النحلة تعســـل من أعلاها وتلقى السم من أسفلها ... والحية القاتل سمّها تَدْخُلُ لحومُها في الترياق ، الذي يُعالَجُ به السُمُّ .

ويقـــول صاحب كتاب(السنة النبوية في مواجهة التحدى) (٦٦): يعـــترف علماء الطب والطبيعة وغيرهم بأنهم ما وسعوا كل شئ علما ، ولـــم يحيطوا بدقائق كل العلوم والمعارف ... واكتشافات العلم كانت وما زالت تتوالى من اكتشاف شئ بعد آخر.. فبأية عقيدة وإيمان ينفى هؤلاء المـــنكرون أن يكـــون الله تعالى أطْلَعَ رسوله ﷺ على أمر لم يصل إليه علماء الطب وعلماء الطبيعة بعد .

ما حكم منكر الحديث ؟

ســـبق أن ذكـــرنا أن الحديث الذي يدور حوله كلامنا إنما هو حديث صحيح ، ولكنه مما انفرد به البخاري ، فمسلم لم يذكره في مسنده الصـــحيح ، وبالتالـــي فالحديث غير متفق عليه ... كما أنه من أحاديث الآحاد ، أى أنه ليس من الأحاديث المتواترة التي تفيد اليقين... كما سبق لنا أن أوردنا رأي البعض في حكم منكره .

وإذا كان بعض العلماء قد ذهب إلى خروج منكر أحاديث الآحاد – عموما – من الإسلام فإن البعض الآخر لا يحكم بخروجه من الإسلام ، **لأن الذي يخرج من الدين هو إنكار ما كان منه قطعياً يقينيا ،**

---

(٦٦) د/ أحمد عمر هاشم : نفس المرجع .

أىْ (المعلوم من الدين بالضرورة) [٦٧] .. أمــا من يتخذ من هذا الحديث (حديــث الذباب) أو غيره من أحاديث الآحاد سبيلاً لإثارة المشاكل ضد الإسلام أو السخرية منه أو الاستهزاء به ، فهو كافر بإجماع العلماء ...

لقد أدلى صاحب كتاب (السنة النبوية مصدرا للمعرفة والحضارة)[٦٨] بدلوه فى (حديث الذباب)، وأثبت رأيه في الموضوع بقوله :.. ولو نظرنا إلى حديث(غمس الذباب) الذي دارت حوله معارك الجدل في هذا العصر، لوجدنــا أن الحديــث يمثّل إرشادًا فى أمر دنيوي ، في بيئة معينة قليلة الموارد، محدودة المصادر من المواد الغذائية، فلا ينبغى المسارعة بإلقاء كل طعام وقعت فيه ذبابة، وخصوصاً فى مجتمع يبنى أبناءه على التقشف والخشــونة والأعداء لحياة الجهاد. أما ما يتضمنه الحديث من إخبار بأن (فــى أحد جناحيْها داء، وفي الآخر شفاء)، فهو شئ فوق خبرة البيئة ، وتجربة العرب ، وينبغي ألاَّ نقابله بالردِّ أو التكذيب لمجرد الاستبعاد .

الذباب في عالم الحشرات :

صــدرت موسوعة (سلسلة كتب النحلة) للفتيان ، لصاحبها د/كــارم السيد غنيم عن دار الفكر العربي (القاهرة) ، وقد احتل الذباب جزءيــن فــى هذه الموسوعة ، ولما كان الأمر يستدعى تعريف القارئ

(٦٧) لمــزيد مــن التفصيل : انظر البند السابق (أحاديث الآحاد) في الكتاب الحالــي . والحكم بخروج منكر أحاديث الآحاد عن الإسلام ينطوى على مجازفة اذا كان المنكر متأولا ...

(٦٨) د/ يوســف القرضاوى : السنة النبوية مصدراً للمعرفة والحضارة. دار الشروق (القاهرة) ، ط١، ١٤١٧ هــ / ١٩٩٧ م .

بالذبـــاب لـــيفهم (حديـــث الذباب) فهما سليماً ، نرى أن نقتبس بعض الفقرات من هذه الموسوعة فيما يلي (٦٩) .

يفوق عدد أنواع الذبـــاب المعـــروف في أنحـــاء العـــالم الآن (٦٤٠٠٠) نـــوع ، ومن المعروف أن النوع يعنى ذباب له نفس الصفات والطبائع والسلوك ونظام حياة واحد ، فالنوع إذن يضم ملايين الملايين ، أو ملـــيارات المليارات من الأفراد التابعة له ... على أن أهل الاختصاص يشترطون القابلية للتزاوج بين أفراد النوع الواحد .

والذبـــاب قد يكون مفيدا للإنسان ، كالذباب الأزرق وغيره من الأنواع الآكلة للرمم والجثث والمواد العفنة ، فهو يخلص الإنسان منها ، ويـــنظف البيـــئة من الملوثات ، وكذلك ذبابة الخل التي يستعملها علماء الوارثة في تجاربهم وبحوثهم واكتشافاتهم فى علم الوارثة وتقدم البشرية فيه ...

أمـــا الوجـــه السئ للذباب فهو الأضرار التي تنجم عن حركته ونقلـــه للميكروبات إلى الإنسان، وهى الميكروبات التى تسبب له أمراضاً كثيرة، مثل الكوليرا (وتنتشر فى شكل وباء يقتل المئات أحيانا)، التيفود، مـــرض الـــنوم، الليشـــمانيا، حمـــى الـــباباتازى، الدوسنتاريا الأميبية، الدوسنتاريا البكتيرية، الإسهال الصيفى، السل، الجزام، الجمرة الخبيثة ، والخراريج ،... هذا إلى جانب نقل بيض بعض الديدان والطفيليات .

---

(٦٩) د/ كـــارم السيد غنيم : سلسلة كتب النحلة للفتيان : ج ٨ ، ج ٩ . دار الفكر العربي (القاهرة) ، ط١ ، ١٤١٧ هـــ / ١٩٩٧ م .

ولقـــد وصـــل عدد الميكروبات الضارة التى أحصاها أحد العلماء فى شعر ذبابة واحدة إلى (٦٦٠٠٠٠٠) ستة ملايين وستمائة ألف ميكروب ... !! وهـــناك مـــن العلمـــاء من عثر على (٥٠٠٠٠٠٠٠) خمسين مليون ميكروب على جسم ذبابة واحدة .. !! هذا العدد هو عدد الميكروبات التى عثر عليها العالم على وبين شعر الذبابة ، يعنى موجودة على الذبابة من الخـــارج ، ولكن هناك أعداد أخرى لميكروبات أخرى موجودة داخل جسم الذبابة ، وخصوصاً في القناة الهضمية (الجهاز الهضمي) ... .

وســـبق لـــنا أن أشرنا إلى تنوع الذباب واختلاف أنواعه عن بعضـــها فـــي الشكل والصفات والسلوك ، ومن نافلة القول أن نذكر عددا مـــن أنـــواع الذباب الشهيرة : الذباب المنزلي العادى ، ذبابة الإسطبل ، ذبابة الخيل ، ذبابة الخل ، ذبابة الفاكهة ، الذباب السارق، الذباب الحوّام، الذباب صانع الأكياس ، نغف الجمال ، برغش الغنم ، ذبابة الوجه، ذبابة الدمـــع ، ذبابة النحل ، ذباب مايو ، ذباب الحجر ، ذباب الكاديس ، ذباب الكالســـيد ، ذبابـــة اللحـــم ، الذبابة الزرقاء ، الذبابة الخضراء ، الذباب المنشـــاري ، ذباب الحور ، الذباب المتوحش ، الذباب الرقيق ، ... الخ ... ومن هذه الأنواع ما يتبع رتبة الذباب الحقيقى ، ومنها ما لا يتبعها ، وإنمـــا ينتمـــي إلـــى رتب أخرى ، لكنه أخذ تسمية " ذباب "... والذباب الحقـــيقى (True Flies) هـــو حشرات تنمي إلى رتبة تسمى " ذوات الجناحين (Order :Diptera) " ، أو تسمى أحياناً " ثنائيات الأجنحة".

الذبابـــة المنزلـــية الشائعة (House fly) توجد في كل مكان تقريباً ، غير نظيف ، أو حتى نظيف ، لكنه يحتوى طعاماً شهيًّا للذباب ،

كالسـوائل الحلوة أو المشروبات أو الأطعمة المكشوفة ... !! والذبـابة الـتى عمـرها يتراوح بين (٩)، (١٢) يوما ، هى التى تبيض ، فأين تبـيض ؟ إنهـا تبـيض فـى الأماكن القذرة وشقوق الحظائر الملـوثة بالـروث، وتبـيض أيضـا فـي القمامـة ، وخصوصـاً قمامة الفواكه والخضـراوات المتعفـنة ، وهـذه أفضـل أماكـن لتربية يرقات الذباب (Maggots)بعدما يفقس البيض ... .

ويـتجمع الذبـاب عندما يبيض، والأنثى الواحدة منه تبيض بيضها متجمعاً فى شكل كتل، كل كتلة فيها (١٠٠) بيضة، ويصل عدد الكتل التى تضـعها الأنـثى(female) في حياتها (٢٠) كتلة، يعنى أن متوسط عدد البيض الذي تبيضه أنثى الذبابة المنزلية هو (٢٠٠٠) بيضة ... .

ويـرقات الذباب المنزلى بيضاء تشبه الدودة، ولكن ليس لها أرجل، لذلك فإنها تتحرك مثل حركة الثعبان تقريباً، وهى لكى تكبر لابد أن تنسلخ (تخلـع جلدها وتستبدل به جلدا جديدا)، ويحدث الانسلاخ (Moulting) مرتيـن، ثـم تنمو وتنمو حتى تصل إلى أقصى حجم لها ، ثم تتحول إلى عذراء (Pupa)، أو ما تسمى "خادرة ". وقد تسـتغرق حياة اليرقـة كلها (٥) أيام أو (٧) أيام أو (١٢) يوماً أو (١٤) يوماً، وكلما انخفضت درجة حرارة الجو، كلما طالت مرحلة اليرقة . ... (Larval stage)

ويـتغلظ جلـد اليرقة فى آخر أيامها ، ويتحـول لونه إلى البنى أو البـنى الغامق ، وتتحول اليرقة بداخله إلى عذراء ، ويسمى هذا الغلاف "الغـلاف البرمـيلـى ... (Puparium) "وبعد ٣-٥ أيام ، ينشـق هذا

الغلاف البرميلى ، وتخرج منه ذبابة يافعة(Adult) ، لها أجنحة ، لكن لا تطـير فور خروجها من هذا السجن (أقصد الغلاف البرميلى الشكل) ، وإنما تحتاج ساعة فى الهواء الطلق لتمدد جناحيها ، وبعدها تكون قادرة علـى الطـيران ، فتقلع وتحلق فى الهواء... وهى أيضا ذات قدرة على الزواج ، وعلى وضع البيض (Oviposition) ، وعلى إنـتاج ذرية (Progeny) أو جيل جديد. (New offspring)

الذباب : مصدر الداء ومصدر الدواء :

(١) توصّل (بريفيلد) – من جامعة هال بألمانيا – في عام ١٨٧١م إلى أن الذبابـة المنزلـية (Musca domestica) تصـاب بطفيل من الفطـور (Fungi)اسمه العلمى(إمبوزا موسكى(Empusa musci ، وهو من فصيلة الفطور المسماة (إنتوموفتزالى) ، التى تنتمى إلى الفطـور المسـماة (فيكومايسيس) . يقضى هذا الطفيل حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة ، على شكل خلايا خميرة مستديرة . وبعد نضج هذه الخلايا المستديرة ، تستطيل وتخرج من بيـن الشدف البطنية (Abdominal segments) أو من المتنفّسات (الفـتحات التنفسـية .(Spiracle والفطْر فى هذه الحالة يكون فى دوره الـتكاثرى ، وتتضـاعف أعداد البذور داخل الخلايا ، فيزداد ضـغطها ، فتنفجر الخلايا ، وتخرج منها بذور الفطر باندفاع شديد مصحوبة بالسائل الخلوي على هيئة رشاش .

(٢) قـدّم العالم دريل - (Derele) فى ١٢ ديسمبر ١٩٢٣ م – تقريـرا عن أسباب تكرار ظهور وباء (جائحة) الكوليرا في الهند ، وطرق

مكافحــته ، وقد كان موفدا لهذا الغرض من رئاسة الصحة البحرية والحجر الصحى المصري. وبعد أن قام دريل وزملاؤه المتخصصين بدراسة الموقف وتقويمه ، قدم هذا التقرير المسهب ، الذي أثبــت فــيه أن البكتريوفــاج - (Bacteriophage) أي قاتل (أو بالع أو آكــل أو مفــترس) البكــتريا ، أو الخلية البكتيرية البلعمية - هو العــامل الوحــيد فى مكافحة وباء الكوليرا ، ويوجد هذا العامل فى بــراز الناقهيــن من هذا المرض ، وأن الذباب ينقله من البراز إلى آبــار ماء الشرب فيشربه الأهالي . وحين يظهر البكتريوفاج القوى فى ذباب البلاد ومائها تنطفئ جذوة الكوليرا .

وحصــل دريل وزملاؤه على البكتريوفاج القوى من جسم الذباب، وتوصــل إلــى أن الحصانة (المناعة) الحقيقية يحققها الأهالي بعد دخول البكــتريوفاج فــى أمعائهم بشرب الماء أو بتناول الأغذية المحتوية عليه والمنقولة إليها بواسطة الذباب .

(٣) نشــرت جريدة التجارب الطبية فى عددها ٥٤/١٠٣٧ الصــادر فى عام ١٩٢٧ م تحت عنوان : (الباكتريوفــاج من ذباب البيوت) : لقد أطعم الذباب الذى يألف البيوت من مزرعة الجراثيم الممرضة) Culture des Microbes Pathogènes)، وبعد حيــن اخــتفى أثر الجراثيم التى فى الذباب وماتت كلها ، وظهرت فى الذباب مادة قاتلــة للجراثــيم تسمى " باكتريوفاج " وهى مادة ذات أثر قوى ضد أربعــة أنواع من الجراثيم الممرضة . كما ذكرت المقالة أن خلاصة من الذباب فى محلول ملحى فسيولوجى وجد أنها تحتوى هذا العامل " الباكــتريوفاج "، وكذلــك مادة أخرى ليست من هذا النوع ولكنها

مفـــيدة فـــى الدفـــاع العضوى ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم الممرضة .

(٤) أعلـــن أستاذ علم الفطور الكبير (لانجيرون) فى عام ١٩٤٥ م أن فطـــر (إنتوموفنزالى) الذى يعيش دوماً فى بطن الذبابة على هيئة خلايا مستديرة، تحتوى خميرة (إنزيم) خاصة قوية ، تحلل وتذيب من أجزاء الحشرة الحاملة للمرض .

(٥) ذكر (بريفيلد)، أيضاً، أن الباحث (موفيتش) نجح عام ١٩٤٧م فى عـــزل مضـــادات حيوية من مزرعة للفطور التى تعيش على جسم الذبابة ، ووجدها ذات مفعول قوى على جراثيم سلبية لصبغة جرام (مـــثل جراثـــيم الزحار والتيفويد) ، ووجد أن جراماً واحدًا منها يحفظ أكثر من ألف لتر من اللبن من التلوث بالجراثيم المذكورة .

(٦) وفي سنة ١٩٤٨ م ، عزل (بريان) ، (كورتيس) ، (هيمنج) ، (جيفـــيريس) ، (ماكجوان) ، من بريطانيا ، مادة مضادة للحيوية تســـمى (كلوتينيزين) ، وذلك من أنواع تابعة لفصيلة الفطور التى تعيش فى الذبابة ، ووجدوا أن هذه المادة تؤثر فى الجراثيم السالبة لصبغة جرام ، ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد .

(٧) وفـــى ســـنة ١٩٤٩م، عـــزل (كوماس)، (فارمر) – من انجلترا ، (جـــريان) ، (روث) ، (اتلـــنجر) ، (بلانتر)– من سويسرا – مـــادة مضادة للحيوية تسمى (انياتين) ، وذلك من فطور تعيش فى الذبابـــة . وتؤثر هذه المادة بقوة فى جراثيم سالبة وجراثيم موجبة لصبغة جرام ، وفى بعض الفطور الأخرى ، مثل جراثيم الدوسنتاريا

والتيفويد والكوليرا. وتكفى كمية قليلة من هذه المادة المعزولة من جسم الذبابة لقتل أو إيقاف نمو هذه الجراثيم المرضية .

(٨) كما تمكن العالمان الإنجليزيان (ارنشستاين)، (كوك)، والعالم السويسري (رولسيوس)، فى عام ١٩٥٠م، من عزل مادة أسموها (جافاسين)، وذلك من فطر ينتمى إلى نفس الفصيلة المذكورة سابقاً، وهو يعيش على الذباب، واتضح لهم أن هذه المادة تقتل جراثيم مختلفة من بينهما الجراثيم السالبة لصبغة جرام والجراثيم الموجبة لصبغة جرام. مما يفيد فى مكافحة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات التى يلزمها فترة حضانة Incubation period) (قصيرة.

(٩) نشر العالمان المصريان د / محمود كمال ، د / محمد عبد المنعم حسين ، مقالة فى مجلة الأزهر (القاهرة) – عدد شهر رجب ١٣٧٨ هـ ، تحت عنوان : " كلمة الطب فى حديث الذباب " ، ضمناها كثيرا من الأخبار والمعلومات . وذكرا أن الذباب ينقل أمراضاً كثيرة ، وذلك بواسطة أطراف أرجله ، أو في برازه . وإذا وقعت الذبابة على الأكل ، فإنها تلمسه بأرجلها الحاملة للميكروبات الممرضة ، وإذا تبرزت على طعام الإنسان ، فإنها ستلوثه أيضاً بأرجلها . أما الفطور (الفطريات) التى تفرز المواد الحيوية المضادة ، فإنها توجد على بطن الذبابة ، ولا تنطلق مع سوائل الخلايا المستطيلة لهذه الفطور (والتي تحتوي المواد الحيوية المضادة) إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلى

لســـائل الخلية ، ويسبب انفجار الخلايا المستطيلة ، واندفاع البذور والسائل إلى خارج جسم الذبابة .

(١٠) نشـــرت جريدة " الأهرام " بالقاهرة فى عددها الصادر يوم ٢يوليو ١٩٥٢م ، مقالـــة للأستاذ / مجدى كيرلس جرجس (وهو مسيحى مصـــرى) ، ورد فيها : .. وهناك حشرات ذات منافع طبية ، ففى الحـــرب العالمـــية الأولـــى، لاحظ الأطباء أن الجنود ذوى الجروح العميقة الذين تركوا بالميدان لمدة ما ، حتى ينقلوا إلى المستشفى ، قـــد شفيت جروحهم والتأمت بسرعة عجيبة ، وفى مدة أقل من تلك التي استلزمتها جروح مَنْ نقلوا إلى المستشفى مباشرة .

وقـــد وجد الأطباء أن جروح الجنود الذين تركوا بالميدان تحتوى علـــى " يـــرقات " بعـــض أنـــواع " الذبـــاب الأزرق " وقد وجد أن هذه "الـــيرقات" تأكل النسيج المتقيح في الجروح ، وتقتل " البكتريا " المتسببة فى القيح والصديد .

وقـــد استخرجت مادة (الانثوين) من " اليرقات " السالفة الذكر ، واســـتخدمت كمـــرهم رخـــيص ، ملطـــف للخراريج والقروح والحروق والأورام . وأخيرا ، عُرِف التركيب الكيميائي لمادة (الانثوين) وحُضِّرت صناعياً ، وهى الآن تباع بمخازن الأدوية .

(١١) ذكـــر الدكتور/ظافر عطار في مقالة له منشورة بمجلة عالم الطب والصـــيدلة [٧٠] أن عـــبد الوارث كبير نشر مقالة فى مجلة العربى

---

(٧٠) د/ ظافـــر عطار : الذباب – مرض وشفاء . مجلة عالم الطب والصيدلة (دمشق)، ٤/١٨ ، ٢٠٠٠م.

(بالكويت) اتهم فيها حديث الذباب بالضعف، ثم ردّ عليه د/عز الدين جوالــة علــى صــفحات عدد سبتمبر ١٩٦٥م من نفس المجلة ، وتوجَّه فى مقاله باللوم إلى عبد الوارث كبير لإنكاره هذا الحديث ، وظنِّه أنه من وضع الواضعين ...

ويقــول د/ جوالــة فى مقاله هذا : إن الحديث النبوي لا ينكر أن الذبـــاب يحمـــل الأقذار وجراثيم الأمراض ، بل يؤكد ذلك ويكرره بقوله : (فـــى أحـــد جناحيه داء) ، كما أنه لا يطلب عدم مكافحة الذباب ... أما الذبـــاب كـــناقل داء ، فهذا شيء أصبح الآن معروفًا لدى الجميع ، وأما الجانب الذي يجهله الكثير من الناس فهو وجود مضادات حيوية للجراثيم فى الذباب .

وممـــا ذكـــره د/ جوالة فى بحثه الذي وردت أجزاء منه فى كتاب المرحوم / سعيد حوى (الرسولﷺ) [٧١] :

١) مـــن المعـــروف مـــنذ القديم أن بعض المؤذيات يكون فى سمها نقع ودواء ، فقد يجمع الضدان فى حيوان واحد ، فالعقرب فى إبرتها سم نـــاقع، وقـــد يداوى سمها بجزء منها . والنحلة يخرج من إبرتها سم ناقع ، ويخرج من فمها شراب نافع.

٢) يحضـــر لقـــاح من ذبيب الأفاعى والحشرات السامة ، يُحقَنُ به لديغ العقرب، أو لديغ الأفعى .

---

(٧١) سعيد حوى : الرسول ﷺ . مؤسسة الرسالة (بيروت)،١٩٧١م.

٣) يستخرج البنسلين من العفن ومواد قذرة من تراب المقابر ... الخ .
٤) للجــرثومة ذيفان - (Toxin) وهو مادة منفصلة عن الجرثومة - وإذا دخل الذيفان فى بدن الحيوان قام البدن بتكوين أجسام مضادة له تبطل مفعوله ، وتسمى هذه المادة : مبيد الجراثيم _ (باكتريوفاج).

ثــم يقــول صــاحب البحث : فهل يستبعد القول بأن الذباب يلتهم الجراثــيم ضــمن مــا يلتهمه ، فيكون فى جسم الذباب الأجسام الضدية المبيدة للجراثيم التى لها القدرة على الفتك بالجراثيم الممرضة التى ينقلها الذباب إلى الطعام أو الشراب . فإذا وقعت الذبابة فى الطعام فما علينا إلاّ أن نغمسها فيه ، فتخرج تلك الأجسام الضدية فتهلك الجراثيم التي تنقلها الذبابة.

(١٢) أمثلة لاستعمال الذباب فى بعض التدابير العلاجية :

ورد فى كتاب - L'Orthopedie المطبوع سنة ١٧٤٣م - وصف لعمل لبخة من الذباب ، لوضعها على الجفون ، ورد فيها : ... أو تؤخذ ثلاثــون ذبابة عادية وتسحق ،ثم يضاف إليها صفار بيضة مذاباً فى قليل مــن زيت التربنتينة ، وتصنع منها لبخة توضع على الجفن ، هذه اللبخة ممتازة تزيد من نمو الأهداب وغزارتها .

ورد فــى كــتاب - Materia Medica المطبوع سنة ١٩٣٩م - وكــان يُدرَّس لطلاب كلية الطب فى مصر قبل منتصف القرن العشرين - أن الذبــاب الإسبانى الأخضر (كانثريدس) يستخرج منه دواء لعلاج العنَّة (العجــز الجنســي فى الرجال) ... وإن كان هذا القول لم تعززه البحوث الطبية المعتمدة !!

هــذا ، إضـــافة إلـــى ما تحفل به كتب ، مثل : تذكرة داود، حياة الحـــيوان الكبرى للدميري ، وكتب ابن البيطار ، وغيرهم ، من وصفات طبـــية لعلاج بعض الأمراض باستعمال مسحوق أو لبخات الذباب- أنظر الكتب الأصلية أو ما نقله منها د/خليل خاطر فى كتابه(الإصابة) [٧٢].

حصـــل الدكتور / أبو الفتوح مصطفى عيد ، على درجة الدكتوراه مـــن جامعة الإسكندرية [٧٣] تحت إشراف الأستاذ الدكتور / أمين رضا ، وقـــد ورد فيها قولــــه : .. وقد كانت الحرب العالمية حقلاً خصيباً تطور خلالهـــا عـــلاج هذا المرض (التهاب العظام المزمن) ، ففيها استنتجت طريقة العلاّمة (أور) سنة ١٩٢٧ م ، وطريقة العــلاج بيرقـــــــات (Larvae)الذباب للأستاذ (بيير) سنة ١٩٣١ م .

كمـــا ورد فى مقال لمجلة (جراحة العظام الأمريكية) – مجلد ١٦ عـــدد ٣- ســـنة ١٩٣٤ م ، شـــرح لعـــلاج الالتهابات العظمية المزمنة باســـتعمال الذباب ، وشرح لكيفية تربية الذباب (Rearing of flies) لهـــذا الغـــرض.وسبق أن نشر على صفحات نفس المجلة عام ١٩٣١ م إعلان لشركة(لديرل) عن بيعها يرقات الذباب لاستعمالها للعلاج .

---

(٧٢) د / خليل إبراهيم ملا خاطر : مرجع سابق .

(٧٣) د / أبـــو الفتوح مصطـــفى عيد : دراسات إكلينيـــكية وباكتريولوجـــية فـــى الـــتهابات العظـــام الناتجة عن الميكـــروب العنقودي . رسالة حصل بها صـــاحبها على درجة الدكتوراه من كلية الطب جامعة الإسكندرية (مصر) فى عام ١٩٦٨ م.

كمـــا ورد فـــى نفس المجلة (عدد أبريل ١٩٣٥ م) مقال للعالم (وليم روبنسون) يشرح فيه تطور التفكير فى اغتذاء يرقات الذباب على الأنســـجة الميـــتة ، وكذلك إفرازات هذه اليرقات والتمثيل الغذائي فيها، بهدف فهم سر التئام الجروح إذا تركت ملوثة بيرقات الذباب ... .

إن هـــذه الـــبحوث والمقالات والأخبار والمعلومات ، وما لم نثبته مـــنها هـــنا كثير ، تؤكد إمكانية استعمال الذباب على المستوى التجاري وتربيته وتسويقه بهدف علاج الجروح المتقيحة ، وعلاج تقيحات العظام، ولكـــن هذا لم يلق الاهتمام المطلوب . ويعلل الدكتور/أمين رضا هذا فى رســـالة بعـــث بها إلى الدكتور/غريب جمعة(٧٤): ولكن ظـــهور مركبات الســـلفا فى نفس الوقت ، وظهور المضادات الحيوية الذي بدأ فى الحرب العالمية الثانية ، حوّل أنظار العلماء إلى هذه الطرق التي كانت جديدة فى زمانها ... .

(١٣) نشرت مجلة (التوحيد) بالقاهرة فى عددها الخامس لسنة ١٣٩٧ هـــ / ١٩٧٧ م، مقالاً للأستاذ الدكتور/أمين رضا (أستاذ جراحة العظـــام والـــتقويم بجامعـــة الإسكندرية) إثر مقال نشرته بعض الصـــحف لطبيـــب آخـــر تشـــكك فى الحديث النبوي المذكور... قـــول/أميـــن رضا : رفض أحد الزملاء حديث الذباب على أساس التحلـــيل العلمـــى العقلى لمتنه ، لا على أساس سنده . وأرى أن أعارض الزميل بما يلى :

---

(٧٤) د/ غريـــب جمعة: حول حديث الذباب .. الذباب فيه سم وعلاج . مجلة منار الإسلام (أبو ظبى) ٤ (٨) ١٩٨٣ م .

أولاً : ليس من حقه ان يرفض هذا الحديث ، أو أي حديث نبوي آخـر ، لمجـرد عـدم موافقته للعلم الحالي . فالعلم يتطور ويتغير ، بل ويتقـلب كذلك . فمن النظريات العلمية ما تصف شيئاً اليوم بأنه صحيح، ثم تصفه بعد زمن قريب أو بعيد بأنه خطأ .

ثانـياً : ليس من حقه رفض هذا الحديث ، أو أي حديث آخر ، لأنـه "اصـطدم بعقله اصطداماً-على حدّ تعبيره- فالعيب الذي سبب هذا الاصـطدام ليس من الحديث بل من العقل ، فكل المهتمين بالعلوم الحديثة يحـترمون عقولهـم احتراماً عظيماً . ومن احترام العقل أن نقارن العلم بـالجهل . فـالعلم يتكون من أكداس المعرفة التي تراكمت لدى الإنسانية جمعـاء . أمـا الجهل فهو كل ما نجهله ، أي ما لم يدخل بعد في نطاق العلـم. وبالـنظرة المتعقلة نجد أن العلم لم يكتمل بعد ، وإلاّ توقف تقدم الإنسـانية ، وأن الجهل لا حدود له . إن العالم العاقل المنصف يدرك أن العلـم ضخم ، ولكن حجم الجهل أضخم ...إذا قلنا إن العلم اليوم هو كل شـئ ، وإنه آخر ما يمكن الوصول إليه ، أدى ذلك إلى الغرور بأنفسنا ، وإلى التوقف عن التقدم ، وإلى البلبلة في التفكير . وكل هذا يفسد حكمنا علـى الأشـياء ، ويعمينا عن الحق حتى ولو كان أمام أعيننا ، ويجعلنا نرى الحق خطأ، والخطأ حقاً .

ثالثاً : لـيس صـحيحاً أنـه لـم يرد في الطب شئ عن علاج الأمـراض بالذباب . فعندي من المراجع القديمة ما يصف وصفات طبية لأمـراض مخـتلفة باسـتعمال الذبـاب .أما في العصر الحديث ، فجميع الجراحيـن الذيـن عاشـوا في السنوات التي سبقت اكتشـاف مركبات

السلفا – أي في السنوات العشر الثالثة من القرن العشرين – رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب ، وكان الذباب يُربى لذلك خصيصاً. وكان هذا العلاج مبنياً على اكتشاف (باكتريوفاج) القاتل للجراثيم ، على أساس أن الذباب يحمل في آن واحد الجراثيم التي تسبب المرض ، وكذلك الباكتريوفاج الذي يهاجم هذه .

رابعاً : في هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود سم في الذباب ، وهو شئ لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلاّ في القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين) الميلاديين ، وقبل ذلك كان يمكن للعلماء أن يكذّبوا الحديث النبوي لعدم ثبوت وجود شئ ضار على الذباب . ثم بعد اكتشاف الجراثيم يعودون فيصححون الحديث .

خامساً : إن كل ما نأخذه على الذباب هو الجراثيم التي يحملها ، فيجب مراعاة ما نعلمه عن ذلك :

أ) ليس صحيحاً أن جميع الجراثيم التي يحملها الذباب جراثيم ضارة أو تسبب أمراضاً .

ب) ليس صحيحاً أن عدد الجراثيم التي تحملها الذبابة، أو الذبابتان ، كافٍ لإحداث مرضٍ فيمن يتناول هذه الجراثيم .

ج) ليس صحيحاً أن عزل جسم الإنسان عن الجراثيم الضارة ، عزلاً تاماً، ممكن . وإن كان ممكناً فهذا أكبر ضرر له . لأن جسم الإنسان إذا تناول كميات يسيرة متكررة من الجراثيم الضارة تكونت عنده (مناعة) ضد هذه الجراثيم تدريجياً .

سادساً : فى هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود شئ على الذباب يضـاد السـموم التي تحملها . والعلم الحديث يخبرنا بأن الأحياء الدقيقة (من بكتريا وفيروسات و فطريات) تشن الواحدة منها على الأخرى حرباً لا هـوادة فـيها . فـالواحدة مـنها تقتل الأخرى عن طريق مواد سامة تفـرزها. ومن هذه المواد السامة بعض الأنواع التي يمكن استعمالها في العـلاج . وهـى مـا نسـميه "المضـادات الحـيوية "، مـثل البنسلين والكلوروميستين وغيرهما .

سابعاً : إن مـا لا يعلمـه ومـا لم يكشفه المتخصصون في علم الجراثيم حتى الآن لا يمكن التكهن به ، ولذلك يجب علينا أن نتريث قليلاً قبل أن نقطع بعدم صحة هذا الحديث بغير سند من علم الحديث ، ولا سند من العلم الحديث .

ثامناً : هـذا الحديث النبوي لم يَدْعُ أحداً إلى صيد الذباب ووضعه عنوة في الإناء ولم يشجع على ترك الآنية مكشوفة .

تاسعاً : إن مَنْ يقع الذباب فى إنائه ، ويشمئز من ذلك ولا يمكنه تناول ما فيه فإن الله لا يكلف نفساً إلاّ وسعها .

عاشراً : هـذا الحديـث النبوي لا يمنع أحداً من الأطباء والقائمين علـى صـحة الشعب من التصدي للذباب في مواطنه ومحاربته وإعدامه وإبادته.

---

(١٤) نشـرت جـريدة تشـرين (الدمشـقية) عن جريدة صينية في شنغهاي بتاريخ ١٩٨٧/٦/١٦م : اكتشف علماء صينيون مؤخراً

أنـــه يوجد في جسم الذباب نوع من البروتينات النشطة التي تملك قـدرة علــى إبــادة الجراثيم المسببة للأمراض . ونقلت صحيفة (شينخوا) عن صحيفة (شينمين) الصينية قولها: إن هذه الحــشرة المقززة للنفس تمتلك بروتينات قوية قادرة على إبادة الفيروسات والجراثــيم بشــكل قــاطع إذا بلغت كثافتها حدّاً معيناً . وأضافت الصــحيفة : إنه يوجد في جسم الذباب أيضاً مادة الدهن، وخاصة فــي الــيرقات التي تحتوي نسبة كبيرة من المغنزيوم والكالسيوم والفســفور . ويفكــر العلمــاء في استخراج هذه المواد من جسم الذباب ليكون مصدراً جديداً لمركبات قاتلة للجراثيم ......

(١٥) وبعــد مناقشـــة لموضوع (حديث الذباب) ، عرض صاحب كتاب (معجــزات فــي الطب للنبي العربي محمد ﷺ [٧٥]، خلاصة ، نذكر منها خلاصة الخلاصة في النقاط التالية:

أ) يقــع الذبــاب على الفضلات والمواد القذرة ، فيحمل بأرجله وأشعاره كثيراً من الجراثيم الممرضة .

ب) يقع الذباب على الطعام أو الشراب ، فيلمس بأرجله الملوثة بالجراثيم هــذا الطعــام أو الشــراب ، فيلوثه بهذه الجراثيم ، وقد يتبرز فيه فتخرج مع البراز تلك الجراثيم الممرضة في الطعام أو الشراب .

---

(٧٥) د/ محمد سعيد السيوطي : معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ. مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٢ ، ١٤٠٦ هـــ / ١٩٨٦ م .

ج) إذا أخذت الذبابة من الطعام أو الشراب ، وألقيت خارجه دون غمس ، بقيــت هــذه الجراثــيم فـــي مكان سقوط الذبابة (أيْ : الطعام أو الشــراب)، فإذا تناول الإنسان هذا الطعام أو الشراب الملوث دخلت الجراثيم إليه.

د) أمــا إذا غمســت الذبابــة كلها ، فإن هذه الحركة تحدث ضغطاً داخل الخلايــا الفطــرية الموجــودة مع جسم الذبابة ، فتزيد توتر البروز والسوائل الموجودة بداخلها زيادة تؤدي إلى انفجار الخلايا وخروج الإنــزيمات (الخمائر) المهلكة بجراثيم المرض ، فتقع على الجراثيم التي تنقلها الذبابة فتهلكها .. وهكذا يصبح الطعام أو الشراب طاهراً مــن الجراثــيم الممرضة ... وهكذا توصل العلماء إلى بيان علمي للحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في الطعام أو الشراب، ليخرج من بطنها الدواء الذي يكافح ما يحمله من داء ..

(١٦) بحوث معملية حديثة على هدى الحديث النبوي :

أثبــت د/خلــيل خاطــر فـــي كتابه (الإصابة) (٧٦) أنه علم بوجود مجموعــة بحثية لتحقيق حديث الذبابة معملياً ، وقد تحدث في هذا الشأن مع د/محمد على البار، الشيخ/ عبد المجيد بن عزيز الزنداني ، د/ محمد فضــل الخانــي ، ولكــنه تأكد من إجراء تجارب في هذا الموضوع بكندا والســعودية ومصر. وما أثبته فى كتابه المذكور إنما هو موجز البحوث التي أجراها د/نبيه عبد الرحمن باعشن (رئيس قسم الأحياء بكلية العلوم جامعة الملك عبد العزيز – جدة) ومعه مشاركون هم : منصور سجيني ،

(٧٦) د/ خليل إبراهيم ملا خاطر : مرجع سابق.

عـبد الوهــاب عـــبد الحـــافظ ، ومحمود زكي . أما التقـرير الذي كان مـــع/الشيـــخ عبد المجيد الزنداني - وللأسف فقد فُقدَ منه- فكان لعالميْن مـــن كـــندا ، بـــدءا بحثهما من حيث انتهت بحوث اللجنة المشكلة لهذا الغرض بجامعة الملك عبد العزيز، وقد توصلًا إلى التعرف على العامـــل الـــذي يســـاعد على القضاء على الجراثيم فى الذبابة المنزلية ، وحدَّدا اســـمه ، وقوتـــه ، وقدرتـــه ، ونتائج قضائه على الجراثيم وطريقته فى تحقيق هذا ..

أمـــا البحـــث الممـــتد ، أو بالأدق سلسلة البحوث ، التي أجراها باعشـــن وزمـــلاؤه فكانت تحت عنوان : (تأثير السقوط والغمس للذبابة المنزلـــية على مدى تلوث الماء والأغذية بالميكروبات) . الجزء الأول : دراسة مبدئية ، الجزء الثاني : تأثير درجة حموضة ماء الغمس ، الجزء الثالث : تأثير السقوط والغمس للذباب على تلوث ونمو الميكروبات على الحليب . وكان مما ورد فى موجز الجزء الثالث ، المختص بعملية غمس الذباب فى الماء أو الحليب ما يلي :

- وجود عامل مثّبط لنمو الجراثيم الموجودة على الذباب ، والتي تسقط فى الماء أو الطعام، عند سقوط الذباب فيه ، ومن ثم ، الحدّ من نمو الجراثيم، وتقليل عددها أيضاً .
- إن عملـــية الغمس تقلل من تأثير الجراثيم التي يحملها الذباب وتسقط فى الماء أو الطعام عند سقوط الذباب فيه .

- إن تأثير عملية الغمس هى على الجراثيم المرضية أكثر مما هى على الجراثـيم الكلـية (الـنافعة) التي لا تحمل الأمراض، وهذا ما يؤكده الحديث الشريف (داء ، شفاء) .
- إن فعالـية الغمـس أظهرت فعالية القضاء على الجراثيم عند درجات مشابهة لدم الإنسان وجسمه ، بخلاف ما لو أجريت في وسط متعادل.
- وهـذا ما يبين المعجزة فى الحديث ، وهى أن النتائج قد أثبتت بشكل واضـح ان الذباب إذا سقط ثم طار ، فإن الجراثيم التي تسقط منه فى الطعـام أو الشـراب تـزداد أعدادها ، بينما إذا غمس ثم رفع ، فإن الجراثـيم التـي تسقط لا تبقى أعدادها كما هى ، بل تبدأ بالتناقص ، ويحدّ من نموها أيضاً . فلو سقط من الذبابة (١٠٠٠) جرثومة مثلاً، ثـم طارت الذبابة ، فإن الألف تزيد لتصبح مثلاً (١٠١٠ ، ١٠٢٠، ١٠٥٠ ، هكذا) ، بينما لو سقط منها (٢٠٠٠) جرثومة ثم غمست، فإن الألفين لا يزيدا ، بل و لا تبقى عند حدّها ، بل تنقص شيئاً فشيئاً لتصبح مثلاً (١٩٥٠ ، ١٩٠٠ ، ١٨٥٠، وهكذا) ، حتى تصبح أقل بكثير مما سقط ، وهذا ما تؤكده هذه التجارب ، والله اعلم .
- إن هـذه الـتجارب أثبتت صحة الحديث النبوي ، أيضاً ، من الناحية العلمية التجريبية ، وإن كنا ننتظر ما هو أكثر من ذلك .
- إن الأمـر المتوقع والمنطقي أن غمس الذباب يزيد من عدد الجراثيم التـي تسقط منه فى الماء أو الطعام ، وذلك لأنها تعطي فرصة أكبر لسقوط الجراثيم عن سطحه ، بخلاف وقوفه على الطعام أو الشراب، لأن الذي يمس منه هو أطرافه وخرطومه وأطراف أجنحته ، بينما فى الغمس يسقط كله .هذا لو كان الأمر عادياً ومتوقعاً .

بينما أظهرت التجارب عكس ذلك تماماً،وهذا هو المذهل فى الأمر، نتـيجة تجـارب كثيرة جداً وتكررت فى مدة تزيد على سنتين فى كل من جـدة والقاهـرة، وفـى معامل (مختبرات) الجامعات ، ومن قِبَل أساتذة مختصـين هدفهم هو الناحية العلمية ،وإن كانوا قد فرحوا بالنتائج التي توصلوا إليها.

- إن هذه التجارب أثبتت إعجازاً علمياً في السنَّة يضاف إلى المعجزات العلمـية الأخرى التي تدلل على معجزة النبي ﷺ الخالدة، فى الكتاب والسنة.

وختـامـاً ...

هـل ذكر الأجنحة في الحديث النبوي يفيد التخصيص، أم أنه أمر اعتباري؟ فى مناقشته لهذا الموضوع، أجاب د/محمد سعيد السيوطى(٧٧) عن هذا السؤال بقوله: .. وأما ما ورد في صدر الحديث الشريف(إذا وقع الذبـاب فـي شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه) ، فالغمس هو لأجل أن يدخـل الباكتريوفاج للشراب (أو الطعام) ، وقد ثبت أن أثرا زهيدا منه يكفـى لقـتل جمـيع الجراثيم المماثلة ، أىْ التى نشأ عنها الباكتريوفاج والجراثـيم القريبة منها . وحيث ورد فى نص الحديث (فليغمسه) ، أىْ : فليغمس الذبابة كلها ، فقد دخل فى الغمس جسمها مع جناحَيها، ولم يرد فـى الحديـث غمس الجناحين فقط ، مما دل على أن الداء والشفاء فى الجناحيـن أمر اعتباري لا يفيد التخصيص ، والأمر بغمسها يؤكد ذلك ، وهو لأجل تطهير الشراب من الجراثيم ، وذلك بإدخال الباكتريوفاج (عامل

---

(٧٧) د/ محمد سعيد السيوطي : مرجع سابق

الشــفاء) والجراثــيم ، وتحقــق وظيفــتهما علــى حمل ونقل الجراثيم والباكتريوفاج فقط .

كما ينتهى د/ محمد أبو شهبة[٧٨] بعد مناقشته لهذا الموضوع إلى قولــــه: وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضــرورة غمــس الذبابة كلها فى السائل أو الطعام إذا وقعت عليه (فيه) لإفســاد أثر الميكروبات المرضية التى تنقلها بأرجلها أو ببرزها . وكذلك يؤكد الحقيقة التى أشار إليها الحديث، وهى أن فى أحد جناحيْها داء (أى: فــى أحــد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالميكروبات المرضية التى حملــتها) وفى الآخر شفاء ، وهو المواد الحيوية المضادة التى تفرزها الفطور (Fungi) الموجودة على بطنها ، والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول خلايا الفطور المستطيلة .

وبعــد مناقشته للموضوع، ختم د/غريب جمعة إحدى مقالاته[٧٩] بقولــــه: إن هذا الحديث لم يَدْعُ أحدًا إلى صيد الذباب ووضعه عنوة فى الإناء ، ولم يشجع على ترك الآنية مكشوفة ، ولا على الإهمال فى نظافة البــيوت والشــوارع ، ولا يتعارض مع الحماية من أخطار انتشار الذباب بأيــة صــورة ، ولم يجبر مَنْ وَقَعَ الذبابُ فى إنائه واشمأز من ذلك على تــناول ما فيه ، وهذا الحديث لا يمنع أحدًا من القائمين على الصحة من

---

(٧٨) د/ محمد محمد ابو شهبة : مرجع سابق .

(٧٩) د / غريــب جمعــة : لا تقعوا على سنة خاتم الأنبياء كما يقع الذباب فى الإناء . مجلة منار الإسلام (أبو ظبى) (٣) ١٣٩٨ هـــ ، ١٩٧٨م .

التصـــدي للذبــاب فى مواطنه ومحاربته ، ولا يدعو إلى إقامة مزارع أو مفارخ للذباب ، ومن صنع هذا أو اعتقده فقد وقع فى خطأ كبير .

وفـــى اتصال شخصى مع الدكتور / معتز المرزوقى(٨٠) أوضح أن حديــث الذباب – الذى نحن بصدده – يتضمن معجزتين علميتين لرسول الله ﷺ ، إحداهما وجود الميكروب فى جانب من الذبابة ووجود المضاد الحــيوى (antibiotic) فى الجانب الآخر ، على اعتبار أن الجناح فى اللغــة يدل على الميل أو الجانب ، ويؤيده قول الله تعالى : ﴿واضمم يدك إلـــى جـــناحك تخرج بيضاء من غير سوء (٢٢)﴾ [سورة طه] . وأما المعجـــزة الثانية فهى فى كلمة (فليغمسه) ، لأن الغمس يتضمن ولوج المنطقة التى بها فطريات (فطور) حاملة للمضادات الحيوية وللميكروبات ، ولأن عملــية الغمـــس تســـمح للسائل أن ينتشر إلى الغشاء بالانتشار الغشـــائى حـــتى يـــنفجر هـــذا الغشاء ويخرج السيتوبلازم الذى يحتوى مضادات الميكروبات التى يكفى (٢) مللى جرام منها لتطهير ألف لتر من اللبن الملوث بجميع الميكروبات .

وعموماً ، فإن هذا الحديث لا يتعلق ببيان أصل من أصول الدين، مـــن الإلهـــيات أو النبوات أو السمعيات ، ولا ببيان فريضة من فرائضه الظاهـــرة أو الباطنة ، الشخصية أو الاجتماعية ، ولا ببيان أمر من أمور الحـــلال والحـــرام فـــى حـــياة الفرد أو الجماعة ، ولا ببيان تشريع من

(٨٠) د / معتز المرزوقى : أستاذ (متفرغ) العيون بجامعة المنوفية (مصر)، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

تشـــريعات الإســـلام المـــنظمة لحياة الأسرة والمجتمع والدولة والعلاقات الدولـــية ، ولا ببـــيان خلـــق من أخلاق الإسلام التى بعث الرسول ليتمم مكارمهـــا ... ولـــو أن مسلما عاش عمره دون أن يقرأ هذا الحديث أو يســـمع بـــه ، لـــم يكن ذلك خدشاً فى دينه ، ولا أثر ذلك فى عقيدته أو سلوكه العام ... فلا مجال لأولئك الذين يتخذون من الشبهات المثارة حول الحديث، سبيلاً للطعن فى الدين كله (٨١) ...

* * *

(٨١) د/ يوســـف القرضاوى : السنة النبوية مصدر للمعرفة والحضارة. مرجع سابق .

(جـ)

تحرير الفكرة في حديث الفأرة

***

هذا حديث صحيح ثالث من الأحاديث التى ردَّها البعض وأنكرها، أو سخر منها بعض الجهلاء ، أو استهجنها مَنْ لا علم له ، إنه حديث صحيح أورده البخارى فى جامعه الصحيح ، والترمذى والنسائى فى سننيهما، كما ورد فى مسند أبى داود وفى موطأ مالك ، بروايات متقاربة.

والحديث بلفظ أبى داود – كما أورده فى كتاب الأطعمة (باب : فى الفأرة تقع فى السمن) – هو : عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (إذا وقعت الفأرة فى السمن، فإن كان جامدًا فألقوها وما حولها، وإن كان مائعا فلا تقربوها) .

ولقد ناقش د/ عبد البديع زللى(٨٢) هذا الموضوع ، وألقى بعض الضوء على وجه الإعجاز العلمى فى هذا الحديث النبوى ، فى مقالة مطولة ، نلخص ما توصل إليه فى السطور القلية القادمة .

بدايةً يقرر التاريخ أن الإنسان لم يعرف شيئاً عن وجود الميكروبات أو الكائنات الحية الدقيقة ، عموماً ، إلاّ فيما بعد عام

---

(٨٢) د/عبد البديع حمزة زللى:إعجازات نبوية متجددة. مجلة المنهل (السعودية)، (٥٥٧)١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م .

١٨٥٧م... ومنذ ذلك التاريخ والأبحاث تتوالى فى جوانب مختلفة من هذا العــالم الغــامض المثــير المدهش . واستطاع العلماء أن يهيئوا أوساطاً غذائــية للكائــنات الحية الدقيقة فى المعامل والمختبرات من أجل دراسة هذه الكائنات وعزلها وتصنيفها وتحديد أنواعها .

ومــن أشــهر الأوساط الغذائية قسمان : أوساط مائعة وأوساط صــلبة ، وهذه الأخيرة هى كالأولى ولكن بعد إضافة مادة (آجار) التى تعمــل علــى تصــلب المائع (أو السائل) تصلبا بسيطاً وتجعله كالجيلى (الذي يسيل بالتسخين ويتصلب بالتبريد) .

تــتكاثر البكتريا وتنمو بوفرة وتنتشر فى جميع أجزاء الأوساط الغذائــية السائلة، ولكنها تعجز عن الانتشار فى الأوساط الغذائية الصلبة وتظــل باقــية محبوسة فى المكان الذى وقعت فيه، ولا تنتشر فى أرجاء هذا الوسط الغذائي الصلب .

وبالرغم من أن الإسلام حضَّ المسلم على حفظ صحته وحمايتها مما يضّر بها ، ومن هذه الأضرار ما تسببه الفئران من أخطار حتى كانت الفأرة من ضمن الفواسق التى أمر الرسول ﷺ بقتلها فى الحل والحرم ، وقــد وردت الأحاديــث النــبوية فى هذا بصحيح البخاري وصحيح مسلم وســنن النســائي وموطــأ مالك وسنن الدارمى ... فإن الحديث النبَوي الصــحيح موضوع الكلام يكشف عن حقيقة علمية لم يتوصل العلماء إلى الكشــف عنها إلاّ حديثا ، وهى أن البكتريا الممرضة الموجودة فى جسم الفأرة يكون احتمال انتشارها إلى جميع أرجاء السمن واردًا عندما يكون السمن مائعا ، أىْ حينما يكون وسطاً غذائياً سائلاً .

ولذلك كان النهى عن الاقتراب من هذا السمن بأية طريقة : (فلا تقـربوه) ، لأن البكتريا التى أصابت السمن المائع بعد انتقالها إليه من جسم الفأرة ، قد تكاثرت وتضاعفت أعدادها كثيراً ، مما يجعل هذا السمن بـؤرة فاسـدة مكتظة بأعداد ضخمة من البكتريا الممرضة ، ولذلك فإن إدخـال الـيد فى السمن أو لمسه ، يُعَدُّ سبباً لنقل البكتريا الممرضة إلى جسـم الإنسـان ، ولذلك جاء الهدى النبوى بالأمر بعدم الاقتراب من هذا السمن ... .

أمـا إذا كان السمن جامداً ووقعت فيه فأرة ثم تركته ، أو حتى ماتـت فـيه ، فإن البكتريا المنتقلة من الفأرة إلى السمن لا تلوث جميع أرجائـه ، بل الطبقة المحيطة بالفأرة ، ولذلك جاء الحديث النبوى بإلقاء الفـأرة ومـا حولها من طبقة السمن إلى خارج الإناء ، وجواز استعمال بقية السمن .. !! .

هكـذا يتضح بعض ما ينطوى علية هذا الحديث النبوى الصحيح مـن إعجاز علمى ، وإن كان يحتوى المزيد الذي يكشف عنه العلماء مع تطور علومهم وارتفاع معارفهم ، وهكذا يظل الحديث النبوى ، عموماً ، كالآيـات القرآنية ، يتوالى عطاؤها العلمى على مرّ الزمان ، فإذا بالمنكر أو المـتردد يرى سخف رأيه وضلاله فى ردّ الأحاديث النبوية التى عجز عقله عن فهمها فهما سليما ...

* * *

(٧)
الموقف من الأحاديث الضعيفة

* * *

الأحاديث الموضوعة ، أو المكذوبة أو الضعيفة أو المنكرة ، خطر كبير على الأمة ، وتطاول عظيم على الرسول ﷺ ، لأنها أقوال لفقها البعض ونسبها زورا إلى الرسول ﷺ ، أىّ إن هؤلاء أدخلوا فى الدين ما ليس منه ، حتى وإن حسنت نياتهم ... ونظرا لخطورة الوضع وضرره على الإسلام انبرى بعض العلماء ، من الأقدمين ومن المحدثين ، للتصدى وتفنيد وكشف وفضح هذه الأحاديث الموضوعة والضعيفة ، عموماً ، حتى إن كثيراً من السلف كانوا أول ما يبدأون به فى تعليم تلاميذهم من الحديث تعليمهم ما لا أصل له، وما لم يثبت عن النبى ﷺ ، حرصاً منهم على كشف كل ما ينسب إلى الرسول ﷺ وهو منه برئ ... ومن العلماء المسلمين المحدثين الذين درسوا (**الوضع فى الحديث**) من جوانب شتى : الدكتور / عمر فلاته ، فقد حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) من كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، فى هذا الموضوع ، عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) ، ثم نشرت هذه الرسالة فى ثلاثة مجلدات فيما بعد[٨٣] .

---

(٨٣) د / عمر بن حسن عثمان فلاته : الوضع فى الحديث . ثلاثة أجزاء ، ط ١ ، مكتبة الغزالى (دمشق) ، ومؤسسة مناهل العرفان (بيروت) ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .

خصص الباحث الباب الثانى من هذه الدراسة لمعرفة "**الموضوعات**" ، وجعله فى ثلاثة فصول ، تحدث فى الأول حول معرفة الموضوعات ، وتكلم فى الثانى على النسخ الموضوعة ، وعرض فى الثالث للأحاديث التى حكم عليها ابن الجوزي بالوضع... وعموماً، فإنه يمكن الكشف عن الحديث الموضوع من دراسة (سنده) ، والسند هو الإخبار عن طريق المتن ، أو هو الطريق الموصّل إلى المتن ، طريق يتكون من سلسلة من الرواة تبدأ بالراوى الذي يحّدثً بالحديث وتنتهى إلى النبى ﷺ . والسند شئ أساسى لصحة الحديث أو ضعفه ، أو هو القوائم التي يعتمد عليها الحديث ، كاعتماد الحيوان على قوائمه – كما شبهه ابن المبارك ... والتفتيش عن الإسناد والتدقيق فيه أمر ديني ملزم لكل مشتغل بالحديث ، حفاظاً على الشريعة من الخلط والدس .. .

كما أن علماء الحديث وضعوا ضوابط لتحري متون الأحاديث التي وصلت إليه وعرضها على أصول الشريعة ومقاصدها وإخضاعها للنقد داخلياً وخارجياً .. إنها ضوابط لتمييز الصحيح من الباطل والصادق من الكاذب . وهناك أمثلة عديدة للأحاديث التي حكم عليها العلماء بالوضع والبطلان بعد دراسة إسنادها ، بالرغم من صحة متونها ، ومنها الحديث : (مَنْ بدّل دينه فاقتلوه) ..

أما عمليات الوضع في (المتن) فقد تكون بإنشاء الواضع كلاماً من عند نفسه ، ثم ينسبه إلى النبي ﷺ ، مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعاً : (شرب الماء على الريق يعقد الشحم) . أو يأخذ الواضع كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء أو من الإسرائيليات

وغيرها ، فينسبه إلى النبي ﷺ ، وذلك ترويجاً له ، ومن هذه الأحاديث: (المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء)..

ولخطورة هذا الأمر ، هناك ضوابط للكشف عن الأحاديث الموضوعة متناً، ضوابط إجمالية وأخرى تفصيلية . فمن الضوابط الإجمالية : أن يكون الحديث مخالفاً لصحيح القرآن (مثل الحديث : عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة) . أو يكون مخالفاً لصريح السنة الصحيحة المتواترة (مثل حديث : مَنْ وُلد له مولود فسماه محمدا تبركاً به ، كان هو ومولوده في الجنة) . أو تكون ألفاظ الحديث ركيكة أو معانيها مما لا يتفق مع العقل السليم أو لا يقبل التأويل المحمود (مثل حديث : مَنْ فارق الدنيا وهو سكران ، دخل القبر سكرانا، وبعث من قبره سكرانا ، وأُمر به إلى النار سكرانا .. ، وحديث : الباذنجان شفاء من كل داء ، ولا داء فيه) . أو يشتمل الحديث على كلام ليس من جنس كلام الأنبياء بل أشبه بوصفات الأطباء والطرقيين (مثل حديث : جاء رجل الى النبي ﷺ فشكا إليه قلة الولد ، فأمر أن يأكل البيض والبصل) . أو يرد في الحديث تاريخ معين لوقوع فتنة أو زوال نعمة أو هلاك أمة أو ما نحو ذلك (مثل حديث : تُرفع زينة الدنيا سنة خمسة وعشرون ومائة) ... إلى غير ذلك من الضوابط الإجمالية والتفصيلية التي شرحها صاحب كتاب (الوضع في الحديث) (٨٤) .

وبعد ، فما هو الموقف من الأحاديث الضعيفة (الموضوعة أو المكذوبة ، أو ما شابه هذا أو ذاك) في المنهج الذي نضع الآن قواعده

---

(٨٤) د/ عمر بن حسن عثمان فلاته : نفس المرجع .

وضوابطه ؟ إذا كـــان المحدثون قد اتفقوا على أن الحديث الضعيف يجوز العمـــل به في الترغيب والترهيب فقط [٨٥] ، فإن العلاّمة أحمد محمد شاكر ذكـــر فـــي كـــتابه (الباعث الحثيـــث اختصـــار علوم الحديث) ما أجازه بعضـــهم مـــن روايـــة الضـــعيف من غير بيان ضعفه بشروطه ، ثم قال : [والــذي أراه أن بـــيان الضعف في الحديث الضعيف واجب على كل حال ، لأن تـــرك البيان يوهم المطلـــع عليه أنه حديـــث صحيح ، خصـــوصاً إذا كان الناقل من علماء الحديث الذين يرجع إلى قولهم في ذلك ، وأنه لا فرق بين الأحكام وبين فضائل الأعمال ونحوها في عدم الأخذ بالرواية الضعيفة، بـــل لا حجـــة لأحـــد إلاّ بما صحّ عن رسول الله ﷺ من حديث صحيح أو حســـن . وأمـــا ما قاله أحمد بن حنبل وابن مهدي وابن المبارك .. (وإذا رويـــنا في الفضائل ونحوها تساهلنا ، فإنما يريدون به – فيا أرجح ، والله أعلـــم – الأخـــذ بالحديـــث الحســـن الذي لم يصل إلى درجة الصحة ، فإن الاصـــطلاح في التفرقة بين الصحيح والحسن لم يكن في عصرهم مستقرا واضـــحاً ، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلاّ بالصحة أو الضعف فقط)] [٨٦] .

وفـــي " مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح " وردت أهمية التوصية بعدم الجزم أو القطع في الحديث الضعيف ، أيْ أن ابن الصلاح

---

(٨٥) كمـــا فـــي " الأذكار " للنووي ، " إنسان العيون " لعلي بن برهان الدين الحلبي ، و " الأسرار المحمدية " لابن فخر الرومي ، وغيرها ..

(٨٦) نقلـــه عـــنه د/ يوسف القرضاوي في كتابه (كيف نتعامل مع السنة؟): مرجع سابق .

يوصي بعدم التصريح بنسبة الحديث الضعيف إلى رسول الله ﷺ : (وإنما تقـول فـيه : روى عن رسول الله كذا وكذا ، أو بلغنا عنه كذا ، أو ورد عـنه ، أو جاء عنه ، أو روى بعضهم ، وما أشبه ذلك ، وهى المسماة "صيغة التحريض") .

ويذهب العلاّمة الدكتور / القرضاوي إلى القول بـ (إنه إذا كان لديـنا في الموضوع الواحد حديث أو أكثر من صنف الصحيح والحسن، وحديث أو أكثر من صنف الضعيف ، فالأجدر بنا أن نستغنى بما لدينا من الصنف الأول عن الثاني ، ولا داعي لأن نعبئ حوافظنا من الضعيف، فإن ذلك سيكون حتماً على حساب الصحيح .ويرى أن رواية الحديث الضعيف فـي فضـائل الأعمـال لا تعني إثبات حكم به ، فالأقدمين من العلماء قد أجـازوا روايـة الضعيف بشروطه (فإنهم قصدوا بذلك الحث على عمل صـالح ثبت صلاحه بالأدلة الشرعية المعتبرة ، أو الزجر عن عمل سئ ثبـت سـوءه بالأدلة الشرعية ، ولم يقصدوا أن يثبتوا بالحديث الضعيف صلاح العمل أو سوءه) [٨٧] .

كمـا إنـه يحذّر من اشتمـال الحديث الضـعيف – الذي يجوز الأخـذ به – على مبالغات وتهويلات يمجّها العقل أو الشرع أو اللغة ... ويجـب ألاّ يعارض دليلاً شرعيا آخر أقـوى منه . وقد ضرب الدكتور / القرضـاوي لهذا مثالاً هو رواية أحاديـث ضعيفة في شأن عبد الرحمن ابـن عـوف ، وأنه يدخل الجنة حَبْواً بسـبب غنـاه (وهذا قدح فيه) ، ويـردّ علـى هذا بأن مثل هذه الأحاديث تنـدرج تحت أصل التحذير من

---

(٨٧) د/ يوسف القرضاوي : نفس المرجع .

فتنـــة المـــال ، وطغــيان الغنى . ولكن يجب أن نذكــر أنها تعــارض أحاديــــث صـــحيحة جعلــــت عــبد الرحمـــن بن عوف من العشــرة المبشــــرين بالجــنة ، وأنـــه من خيـــار المســـلمين ، وأنه يمثل الغني الشاكر [٨٨].

---

(٨٨) د/ يوسف القرضاوي : نفس المرجع (بتصرف) .

(٨)

الشرح الموضوعي للسنةً

* * *

يجب جمع الأحاديث الصحيحة التي تشير تصريحاً أو تلميحاً إلى الحقيقة الكونية أو الطبية ، وكذلك روايات الحديث الواحد، وردّ متشابهها إلـــى محكمها ،وحمل مطلقها على مقيدها ،وشرح عامّها بخاصتّها ،بهدف دراســـتها وبيان ما تدل عليه من حقائق علمية أو حكم صحية .. ونؤكد خطـــورة الاقتصار في فهم الظاهرة الكونية أو الحقيقة الطبية على حديث نـــبوي واحد ، أو رواية واحدة للحديث النبوي. إذ قد لا يتبيّن هذا إلاّ في ضـــوء بقـــية الأحاديث في الموضوع ، أو بقية الروايات التي وردت في كتب الحديث لهذا الحديث أو ذاك (٨٩)

أما ما دون الصحيح من الأحاديث النبوية ، فيمكن الرجوع إليه إذا كان موافقاً للصحيح (كما أشرنا في موضع سابق من المنهج الحالي) أو متفقاً مع حقيقة كونية أو طبية . وبعبارة أخرى ، فإنه في حالة ثبوت معطـــيات الحقائق العلمية ، ودلّ عليها حديث ضعيف ، فإنه يكون شاهداً لهـــا ، وإن كنا نفضل عدم التوسع في الرجوع إلى ما دون الصحيح من الأحاديث .

---

(٨٩) د/ كارم السيد غنيم : مرجع سابق .

وهنا يمكن ضرب مَثَل لندلل به على ضرورة الأخذ بهذه القاعدة أو الالـــتزام بهذا الضابط ، من ضوابط منهج تناول الأحاديث النبوية ذات الدلالـــة العلمـــية ، وهو في حقل الزراعة والحراثة والفلاحة (٩٠) . فلقد ورد في صحيح البخاري – كتاب المزارعة – عن أبي أمامة الباهلى حين نظـــر إلى آلة حرث (محراث) ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يدخـــل هـــذا بيت قوم إلاّ أدخله الله الذل) . وظاهر الحديث يفيد كراهية الرسول للحرث والزراعة ، لأنها تفضي إلى ذل العاملين فيها . إلاّ أن هذا الحديـــث تعارضـــه نصـــوص صحيحة صريحة أخرى ، سواء في السنة الـــتقريرية أم في غيرها ، ففي السنة التقريرية وجد الرسول ﷺ الأنصار أهـــل زرع وغـــرس ، فلـــم يأمرهم أن يتخلوا عن غرسهم وزرعهم، بل فصّلت السنة الشريفة أحكام المزارعة والمساقاة وإحياء موات الأرض .. الخ . ومن السنة القولية ، ما رواه الشيخان وغيرهما عن رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) .

إذن ، فالـــزارع أو الغارس مُثَابٌ على فعله ، وهو مأجور عند الله ، وصدقته باقية غير منقطعة ، ما دام هناك مخلوق ينتفع بهذا الزرع أو ذاك الغرس .. كما تعددت الأحاديث التي تحض على الزراعة والغرس وإحـــياء موات الأرض ، مثل قول الرسول ﷺ : (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألاّ تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها) ..

---

(٩٠) د/ يوسف القرضاوي : مرجع سابق .

هذا ما فهمه الصحابة والمسلمون في القرون الأولى ، فاندفعوا يعمـــرون الأرض ويحـــيون مواتهـــا بالزراعة ، إذ ليس بعد هذا الحض والحـــث على إعمارها من كلام . **فما هو الموقف إذن من حديث المحراث ؟!**

ورد فـــي فـــتح الباري (شرح صحيح البخاري) قول الحافظ: وقد أشار الـــبخاري بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة ، والحديث الماضي فـــي فضل الزرع والغرس ، وذلك بأحد أمرين : إما أن تحمل ما ورد من الذم على عاقبة ذلك ، ومحله إذا اشتغل به ، فضيّع بسببه ما أمر بحفظه (كأن يضيِّع أمر الجهاد الواجب) ، و إما أن يحمل على ما إذا لم يضيّع، إلاّ أنه جاوز الحدّ فيه . وبعض الشرّاح قال : هذا لمن يقرب من العدو ، فإنه إذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية ، فيتأسّد عليه العدو ، فحقّهم أن يشتغلوا بالفروسية ، وعلى غيرهم إمدادهم بما يحتاجون إليه.

وعمومـــاً ، فإنـــه إذا بـــدا هناك تعارض (ظاهري) فيما بين الأحاديـــث المـــتوفرة لديـــنا في نفس المحل ، فعلينا تطبيق قاعدة الجمع والتوفـــيق ، فإذا زال التعارض فبها ونعمت ، وإلاّ فعلينا أن نطبق قاعدة الترجيح والتفضيل ، على نحو ما سنوضح فيما بعد .

***

(٩)

تخصيص العموم

* * *

وردت أحاديث نبوية عديدة في مناسبات خاصة وظروف معينة، وبالرغم من ذلك ، سحب البعض ألفاظها وعباراتها لتعم وتشمل ولا تخص أو تقصر ، أيْ بالرغم من أن هذه التوجيهات الصحيحة والإرشادات الطبية ، النبوية ، ليست عامة لجميع البشر ، ومفيدة في كل البيئات ونافعة لجميع الأحوال ، فإن البعض وجّهها توجيهاً عاماً ، ولم يفقه التخصيص الوارد فيها ، بعد دراسة ظروفها .. والأمثلة على ذلك عديدة ، نذكر منها ما يلي :

مثال (١): يقول رسول الله ﷺ : (عليكم بهذه الحبة السوداء ، فإن فيها شفاء من كل داء إلاّ السام ، والسام الموت) رواه البخاري . وهذا الحديث لم يكن في خطبة عامة ، وإنما كان موجَّها لمريض معين ولأهله، وهذا يعني أن الحبة السوداء دواء لكل داء حلَّ بهذا المريض[٩١] .

---

(٩١) د/ محمود طلوزي : في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث . مكتبة الأسد (دمشق) ، ط٢ ، ١٩٩٤م.

مثال (٢) :تحدث ابن القيّم في كتابه(زاد المعاد في هدى خير العباد) (٩٢) عن (هدية ﷺ في علاج عرْق النَّسا) ، وقال : روى ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (دَوَاءُ عِرْقِ النَّسا أَلْيةُ شاةٍ أعرابيّةٍ تُذَابُ ، ثم تُجزأ ثلاثةَ أجزاء ، ثم يُشْرَبُ على الريق كل يوم جزء) .

وبعد أن تحدث ابن القيم في تعريف عرق النسا ، وفي المعنى اللغوي ، وصل إلى المعنى الطبي ، فقال : وأما المعنى الطبي ، فقد تقدم أن كلام رسول الله ﷺ نوعان : **أحدهما**: عام بحسب الأزمان ، والأماكن ، والأشخاص ، والأحوال . **والثاني** : خاص بحسب هذه الأمور أو بعضها، وهذا من هذا القسم ، فإن هذا خطاب للعرب ، وأهل الحجاز ومَنْ جاورهم، ولا سيما أعراب البوادي ، فإن هذا العلاج من أنفعه لهم .

مثال (٣) : أحاديث تمر المدينة ، ومنها قوله ﷺ : (مَنْ تصبحً بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) رواه الشيخان . يقول ابن القيم : وهذا الحديث من الخطاب الذي أريد به الخاص ، كأهل المدينة ومَنْ جاورهم ، ولا ريب أن للأمكنة اختصاصاً بنفع كثير من الأدوية في ذلك المكان دون غيره ، فيكون الدواء الذي قد ينبت في هذا المكان نافعاً من الداء . ولا يوجد فيه ذلك النفع إذا نبت في مكان غيره لتأثير نفس التربة أو الهواء أو هما جميعاً ، فإن للأرض

---

(٩٢) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين . المطبعة المصرية ومكتبتها (القاهرة) ، بدون رقم الطبعة وتاريخها .

خواص وطبائع يقارب اختلافها اختلاف طبائع الإنسان . وكثير من النبات يكون في بعض البلاد غذاءً مأكولاً ، وفي بعضها سُمّاً قاتلا ، ورُبَّ أدويةٌ لقـوم أغذيـةٌ لآخرين ، وأدويةٌ لقوم من أمراض هى أدويةٌ لآخرين من أمراض سواها ، وأدويةٌ لأهل بلد لا تناسب غيرهم ولا تنفعهم ..

ويجوز نفع التمر المذكور في بعض السموم .. وهو أنَّ من شرط انتفاع العليل بالدواء قبولُهُ ، واعتقادُ النفع به ، فتقبله الطبيعة ، فتستعين بـه على دفع العلّة ، حتى إن كثيراً من المعالجات ينفع بالاعتقاد، وحسن القـبول ، وكمـال التلقـي (٩٣) ... (يقصد الجانب النفسي وأهميته في العلاج "**الإيحاء**") .

والـذي ينبغـي الإنتباه إليه من كلام ابن القيم ، والذي كرره في (زاد المعـاد) في أكثر من مناسبة ، هو أن كثيرا من الأحـاديث الواردة فـي الطـب ونحـوه لا تؤخـذ على عمومها وإطلاقها ، فكثيرا ما تكون مخصوصـة بظـرف معيـن، أو مكان معين ، أو حال معين ، لا يحسن تعديته إلى غيره (٩٤) .

مثال (٤) : حديـث تحريم لحوم البقر ، وله عدة روايات ، وقد تحدث عنها ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة) (٩٥) ، هي :

---

(٩٣) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق .

(٩٤) د/ يوسف القرضاوي: السنة النبوية مصدرا للمعرفة والحضارة. مرجع سابق.

(٩٥) ابـن قـيم الجوزيـة : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. تصـحيح وتعلـيق : محمود حسن ربيع . مكتبة حميدو (الإسكندرية) ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(عليكم بألبان البقر ، فإنها دواء ، وأسمانها فإنها شفاء ، وإياكم ولحومها ، فإن **لحومها داء**) رواه الحاكم وابن السني وأبو نعيم ، عن ابن مسعود ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير .

ونحوه عن صهيب : (عليكم بألبان البقر ، فإنها شفاء ، وسمنها دواء ، **ولحمها داء**) رواه ابن السني وأبو نعيم وصححه الألباني أيضا .

ومثله:(ألبان البقر شفاء ، وسمنها دواء ، **ولحومها داء**) رواه الطبراني في الكبير عن مليكة بنت عمرو السعدية ، وهو في صحيح الجامع كذلك.

ويرى صاحب كتاب (كيف نتعامل مع السنة ؟) أن هذه الأحاديث تناقض القرآن والسنة والواقع [٩٦] ، أما **مناقضتها للقرآن** ، فقد قال الله تعالى : ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام (١) ﴾ [سورة المائدة] ، وكذلك كثير من الآيات التي امتنّ بها الله على عباده بخلق الأنعام لهم ، وقوله تعالى .: ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين .. (١٤٤) ﴾ [سورة الأنعام] . وأما **مناقضتها للسنة** الثابتة ، فمن المعلوم أن الرسول الكريمﷺ ضحَّى بالبقر ، وشرَّع البقر في الأضحية والهدى ، وجعل البقرة عن سبعة ، كالبُدْنة . وأما **مناقضتها للواقع** ، فلأن الناس يأكلون لحوم البقر – مسلمين وغير مسلمين – ولا يجدون من ذلك داء ، إلاَّ ما عُرف أخيرا من مرض (جنون البقر) ، لخروجهم فيه عن فطرة الله وإطعامهم البقر

---

(٩٦) د/ يوسف القرضاوي : مرجع سابق .

– آكـل العشـب – مـا لا يلـيق به . ويخالف الدكتور/ السيد الجميلي الدكـتور/ القرضـاوي فـي رأيـه هـذا ، مع احترامه لقدره وإكباره لاجتهاداته ، فلا يوجد ثمة تناقض ، إذ إن تحليل بهيمة الأنعام لا يتعارض مـع مـنظة الضرر في بعض الأحيان ، كما في حالات النقرس أو مرض الفشل الكلوي أو الفشل الكبدي الحاد أو المـزمن فى بعض الأحيان (*).

فمـا تفسيرنا لمثل هذا الحديث ؟ .. إن الرسول ﷺ قال هذا عن نوع معين من البقر، في ظرف خاص ، وليس عن كل البقر ، وإلاّ ناقض (هذا الحديث) القرآن الذي أحلّ لحم البقر في المائدة والأنعام وغيرهما من سور القرآن ..

هـذا ، وهناك قاعدة من القواعد المتعلقة بموضوع (تخصيص العمـوم) ، هى (الحصر النسبي) ، أىْ الحصر غير المطلق ، في حديث الرسـول ﷺ ، وهـو من أساليب بلاغة الرسول ﷺ في التعبير ، وذلك لجـذب الانتـباه ، ولكن دون أن يقصر قصراً حقيقيا . وفي هذه القاعدة نورد مثالاً أورده صاحب كتاب (في رحاب الطب النبوي) (٩٧) هو حديث الرسول ﷺ : (الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كـية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي) رواه البخاري . فليس مراد النبي ﷺ حصـر الشـفاء فـي ثلاثـة أدوية ، ودليل ذلك أنه ﷺ وصف غير هذه العلاجات الثلاثة في مناسبات أخرى ..

* * *

(*) علمنا هذا باتصال شخصي بسيادته.

(٩٧) د/ محمود طلوزي : مرجع سابق .

(١٠)
معرفة أسباب الورود

***

حظيت أسباب نزول القرآن بالمؤلفات والمصنفات ، إلا أن أسباب ورود الحديث النبوي لا تزال بحاجة إلى جهد وبحث وتصنيف ، وذلك لأن الحديث النبوي يعالج الكثير من الأمور الجزئية والمسائل الفرعية والمشاكل الموضعية والتفاصيل الخاصة ، مما لم يتناوله القرآن. ومن هنا ، يجب على الباحث أن ينتبه للظروف والملابسات التي ورد فيها الحديث النبوي ، حتى يمكن أن يفهمه فهماً سليماً ، وأن يستنبط منه ما يمكنه الاستنباط (*) .

ولقد كان للصحابة والتابعين منهجهم في فهم الأحاديث على ضوء أسباب الورود ، فلقد تركوا العمل بظاهر بعض الأحاديث ، حين تبيّن لهم أنها كانت تعالج حالة معينة في زمن النبوة ، ثم تبدلت تلك الحال عما كانت عليه . ومثال ذلك أن النبي ﷺ قسَّم خيبر بين الفاتحين ، ولكن عمر بن الخطاب (فى عهده) لم يقسَّم سواد العراق ، ورأى أن يبقيه فى أيدى أربابه ، ويفرض الخراج على الأرض ، ليكون مددًا دائما لأجيال المسلمين . وقال ابن قدامه (فى " المغنى ") : وقسمة النبىﷺ خيبر كانت فى بدء الإسلام وشدة الحاجة ، فكانت المصلحة فيه ، وقد

(*) هناك مخطوط نفيس للإمام السيوطي بعنوان (أسباب ورود الحديث) ، لم يطبع حتى الآن – على أغلب الظن .

تعيّنت المصلحة فيما بعد ذلك (أىْ فى عهد عمر بن الخطاب) فى وقف الأرض ، فكان هو الواجب(٩٨) .

جديث (أنتم أعلم بشئون دنياكم) :

ذكر صاحب كتاب (كيف نتعامل مع السنة ؟) موجز قصة تأبير النخل التى رواها الإمام مسلم فى صحيحه من حديث عائشة وأنس ، وكيف أن البعض يتخذون من هذا الحديث مبرراً للتهرب من الكثير من الأحكام الشرعية فى مجالات السياسة والاقتصاد وغيرهما .

وموجز الموجز هو أن الرسول ﷺ مرَّ بناس يلقحون النخل المؤنّث بطلْع من النخل المذكَّر ، فسأل ، فأجابوه ، فأشار عليهم بعدم التأبير ، فلم ينتج النخل ذاك العام ، فجاءوه فأبلغوه ، فقال : (إنما ظننتُ ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن) .. إلى أن قال : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .

إذن فالرسول ﷺ أشار على الأنصار برأى ظنى فى التأبير ، وهو ليس من أهل الزراعة ، وقد نشأ بواد غير ذى زرع، فظنه الأنصار أمراً دينياً ، فتركوا التأبير ، فكان تأثيره سيئاً على الثمر ... !!

ولكن صاحب(موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوي)(٩٩)، لــه فى فهم هذا الحديث ومناقشته رأى آخر ، فهو يرى أن هذه الحادثة كانت للتربية **والتدريب على أتباع المنهج العلمى الصحيح** . لأن المنهج الذي كان متبعًا فى العالم زمن الرسول ﷺ ، هو المنهج الإغريقى ، الذي لا يعتمد على الملاحظة والتجربة كأساس للبحث العلمى ، وظل هذا

---

(٩٨) د / يوسف القرضاوى : مرجع سابق .

(٩٩) د / أحمد شوقى إبراهيم : مرجع سابق .

المنهج متبعاً من أول القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادى ، حين توصل علماء الغرب (مثل: فرانسيس بيكون وغيره) إلى المــنهج العلمــى الصــحيح فى البحث والفكر ورفض المنهج الإغريقى القديــم. وظــن الناس أن هؤلاء هم واضعوا المنهج العلمى الصحيح فى التفكــير والبحــث ، ولكــن القرآن الكريم – فى الحقيقة – هو الذى نزل بأســس هــذا المــنهج فــى القرن السادس الميلادى ، فلقد ذكر القرآن الفــرض الظنى وأنه لا يكوّن حقيقة علمية بدون دليل ثابت ، فقال الله عــزّ وجلّ : ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلاّ الظن وإن لا يغنى من الحــق شــيئاً (٢٨) فأعــرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا (٢٩) ذلك مبلغهم من العلم (٣٠) ﴾ [سورة النجم] .

وكانت المسئولية ملقاة على عاتق الرسول ﷺ ليطبق ما جاء به القــرآن علمياً بين الناس فى حياتهم اليومية ، فكان حادث تأبير النخل ، فانــتهز الرسول ﷺ هذه الحادثة ليعلم الناس المنهج العلمى الصحيح فى الفكــر والبحــث والدراسة . والحادث مروى فى صحيح مسلم عن طلحه ابن عبد الله قال :

مررتُ مع رسول الله ﷺ فى نخل ، فرأى قومًا يلقحون النخل ، فقــال : (مــاذا يصــنع هؤلاء ؟) قالوا : يلقحون النخل ، يأخذون الذكر فيجعلونه فى الأنثى فيلقح . فقال ﷺ : (ما أظن ذلك يغنى شيئاً) ، وفى روايــة رافع : (لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيراً) ، فتركوه ونزلوا عنها ، فنقصت (أىْ : سقط ثمرها) ، وقيل : صار شيعاً (أىْ : ثمرا لا يؤكل). فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فقال : (إنما هو الظن، إن كان يغنى شيئاً فاصنعوه،

فإنمـــا أنـــا بشـــر مثلكم ، وإن الظن يخطئ ويصيب ، وأنتم أعلم بشئون دنياكم ، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله) ... .

يقـــول صـــاحب الموسوعة : إن الذى يتدبر الحديث الشريف ، وهـــو على علم بما وصل إليه علماء المنهج العلمى فى الدراسة والفكر والبحث فى عصر العلم الحالى ، يجد فيه علما عظيماً ، وتأسيسا للمنهج العلمـــى التجريبى الصحيح ، وهدماً للمنهج الإغريقى الذي كان سائداً فى عصـــر نزول الرسالة ، وأدى إلى ركود فكرى كبير . سؤال الرسول ﷺ: ماذا يصنع هؤلاء ؟ سؤال مَنْ يعلم ، فليس مِنَ المقبول عقلاً أن الرسول ﷺ لم يكن يعلم تلقيح النخل ، وهو الذى عاش فى الصحراء ، وسافر إلى الشـــام فـــى قوافل التجارة ، والذى هو أكثر الناس علما ، بل وهو الذى كلّفـــه الله تعـــالى بأن يعلّم الناس ما لم يكونوا يعلمون من أمور حياتهم الدنـــيا . إذن ، فقـــد ثبت أن سؤال رسول الله ﷺ كان سؤال من يعلم ، كأسلوب تعليمى وتربوى .

أمـــا قوله ﷺ : (ما أظن ذلك يغنى شيئاً) ، فهو تعليم للناس ، وهـــو مدخل علمى صحيح لبحث أية مسألة علمية ، لم يفهمه الاّ العلماء بأوروبـــا فـــى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين . والفرض الظنـــى لابـــد أن يوضع فى تجربة تطول مدتها حتى تظهر نتائجها ، وقد حـــدث ما أراده الرسول ﷺ منهم ، فقد نزلوا عن النخل وتركوا تلقيحه ، فظهـــرت نتيجة التجربة سلبية ، فقد قال طلحه : (فصار شيصاً) وأظهر للـــناس أن الفرض الظنى لم يكن صحيحاً ، ليس قولا (نظريا) ، بل عن تجربة وعلم (مشاهدة) ... لذلك قال رسول الله ﷺ : (إنما هو الظن)،

ثم يزيد الرسول ﷺ الأمر وضوحاً بقوله: (وإن الظن يخطئ ويصيب) ، وهــو شرح لماهية الفرض الظنى ، أو الفرض العلمى ... ولم يقل : وأنا أخطــئ وأصــيب ، أبداً ، لم يقل ذلك ، لأن الرسول ﷺ عصمه ربه عزّ وجلّ من الزلل والخطأ.

وقوله ﷺ (أنتم اعلم بشئون دنياكم) ، ليس أنتم أعلم بشئون دنياكم منىّ ، وإنما أنتم أعلم بشئون دنياكم من بعضكم البعض ، وهو ما لــم يفهمــه البعض ، ففهموا هذه الجملة فهماً مخطئاً ، واتخذوه مبررا لعــزل الهدايــة النــبوية عــن جميع الشئون الحياتية والأمور المعاشية والمسائل الدنيوية ... !!

* * *

(١١)
الثابت والمتغير فى الأحاديث

* * *

هناك العديد من الأحاديث النبوية ، توضح الدراسة المتأنية لها شيئين ، أحدهما : هدف الحديث ، والآخر : الوسيلة لتحقيق الهدف . والباحث عليه ألاً يخلط بين هذين ، فيخطئ فى فهم الحديث ، كما يجب ألاً يهتم الباحث بالتركيز على الوسيلة وينسى الهدف والمقصد العام الذى ورد الحديث من أجله . وهذا يعنى أن بالحديث النبوى ثابت ومتغير ، أما **الثابت** فهو الهدف والمقصد ، وأما **المتغير** فهو الوسيلة ، وهى تختلف من عصر إلى عصر ، ومن شعب إلى شعب، ومن بيئة إلى بيئة .

وأما الأمثلة التوضيحية ، فنسوق موجزاً لعدد منها ورد مفصلاً فى كتاب (كيف نتعامل مع السنة ؟) [(١٠٠)] :

مثال (١) : الأحاديث التى رويت فى فضل الرمى بالسهم ، لا تقصد السهم بذاته ، والسهم ليس هدفاً ، وإنما هو وسيلة لتحقيق الهدف ، وهو النصر فى مواجهة الأعداء ، ويستوى فيها استعمال السهم والبندقية والمدافع والصاروخ و ... الخ .

مثال (٢) : الأحاديث التى تأمر بتنظيف الأسنان والفم بالسواك ، فالسواك ليس مقصوداً لذاته ، بل هو وسيلة لتحقيق هدف هو نظافة الفم

---

(١٠٠) د / يوسف القرضاوى : مرجع سابق

والأسنان ، وقد وصفه النبي ﷺ لتوفر شجرة الأراك فى الجزيرة العربية . وبالتالى فإن أداة أخرى إذا قامت مقامه فى تنظيف الفم والأسنان ، فلا بأس باستعمالها ، ما دامت ستحقق الهدف المطلوب ... .

مثال (٣) : روت كتب الصحاح حديث رسول الله ﷺ : (صوموا لرؤيته – أىْ : الهلال – وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فاقدروا له) ، وفى لفظ آخر : (فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) .

الهدف هو صوم رمضان كله ، وعدم تضييع يوم منه ، أو حتى صوم يوم من شهر غيره (كشعبان أو شوال) ، وأما الوسيلة فكانت الرؤية بالنظر ، وهى الوسيلة السهلة المتاحة لعامة الناس فى ذلك العصر ، ولم يكلفهم بوسيلة أخرى كالحساب الفلكى لأنهم كانوا أمة أمية، لا تكتب ولا تحسب – بنص حديث نبوى صحيح ورد بذلك ، فإذا لجأ الناس إلى استعمال وسيلة أخرى تؤدى إلى دقة تحرى الهلال فلماذا نرفضها ؟! ... إن الأخذ بالحساب الفلكى القطعى الآن ، إنما هو وسيلة لإثبات الشهور ، ينبغى قبولها من باب، " قياس الأولى " فالسنّة التى شرعت لنا الأخذ بوسيلة أدنى ، لا ترفض الأخذ بوسيلة أعلى ، وأكمل وأوفى بتحقيق الهدف ، وخاصة الخروج بالأمة من الاختلاف الشديد فى تحديد بداية صيامها وفطرها وأضحاها ، وما يتضمنه من تحقيق الوحدة المنشودة بين أطراف الأمة فى شعائرها وعباداتها .

***

(١٢)

الجمع والتوفيق بين النصوص الصحيحة المتعارضة

* * *

بدايةً ، نقول إن الاختلاف فى النصوص ليس ذاتياً ، وإنما هو اختلاف ناشئ من التقصير فى تحصيل الناظر فى نصوص السنة . ولا يمكن أن يكون الاختلاف فيما بين النصوص ذاتياً لأن مصدرها واحد ، وأكثر من هذا ، فإن هذا المصدر له عصمة الوحى من الله ، ولذلك لا يمكن أن يكون فيما بين النصوص الثابتة الصحيحة أىّ اختلاف ، بل مصدر الاختلاف يأتي من قصور فى كفاءة الباحث(١٠١) .

وعموماً ، فإذا بدا وجود تعارض ظاهرى بين متون بعض الأحاديث النبوية وبين بعضها ، فعلينا وضع كل منها فى مكانه الصحيح ، ومحاولة التوفيق فيما بينها ، أو التأليف بين مختلفها . أما إذا عجزنا عن هذا ، فعلينا اللجوء إلى قاعدة أخرى ، هى قاعدة الترجيح ، أو ، التفضيل بين هذه الأحاديث .

ويعَرف علماء الأصول "**التعارض**" بأنه تقابل الدليليْن على سبيل الممانعة ، ويعرّفه علماء الحديث بأنه الأحاديث التى تتعارض فى الظاهر ، ويطلقون عليه "**مختلف الحديث**" . أما الجمع والتوفيق بين

---

(١٠١) د / محمد رأفت سعيد : مرجع سابق .

مخـــتلف الحديــث ، فهو مقدَّم على الترجيح ، فله أهميته لأنه يدل على استــيعاب الســنّة لجوانــب الموضـــوع الواحد ، على الرغم من ورود الــروايات على ألسنة رواة متعددين ، وفى مواقف متعددة ، وفى أزمان متعاقــبة ، فطبيعة البيان تقتضي هذا التعدد ، حسب المبيَّن لهم ، وعلى مقتضـــى الحال ، الذي يقدَّم فيه البيان ... فضلا عن أن هذا الجمع بهذا التتـــبع ، يتــيح الفهــم الدقيق لكل رواية على حدة ، لارتباطها بموقفها وظروفها وملابساتها ، قبل أن تنسجم فى بناء الموضوع الواحد [١٠٢].

ولقــد وضــع العلمــاء شــروطاً للعمــل بهذه القاعدة ، وردت تفصيلاتها فى كتاب (الأصول فى دراسة سنة الرسول)[١٠٣] ، ونرى أنه من المفيد أن نوجزها فى النقاط التالية :

(١) ثــبوت الحجــية لكل واحد من المتعارضيْن ، وذلك بصحة سنده ومتــنه ، فــإن لــم تثبت الحجية لكليهما ، فلا حاجة للجمع ، ويسقط المتعارضان .

(٢) ألاّ يــؤدى الجمــع بيــن الدليليــن إلى إبطال نص من نصوص الشريعة ، أو إبطال جزء منه .

(٣) زوال الــتعارض أو الاختلاف بين الدليلين بالجمع ، فإن لم يَزلْ التعارض ، أو التناقض، أو التقابل ، أو التضاد ، بالتوفيق فيما بيــن مدلولــيْهما ، فقد يكون أحدهما ناسخاً للآخر ، أو يُرَجَّحُ أحدهما على الآخر .

---

(١٠٢) د / محمد رأفت سعيد : نفس المرجع .

(١٠٣) د / عبد الباسط السيد مرسى : مرجع سابق .

(٤) ألاَّ يــؤدى الجمــع بيــن الدليليْــن إلى الاصطدام مع دليل آخر صــحيح يخــالف هــذا الجمع ، فإن وُجد حديث صحيح يخالف الجمع بين الدليليْن المتعارضيْن ، فلا يُعتدُّ بمثل هذا الجمع .

(٥) أن يكــون الحديــثان المتعارضان وارديْن فى زمن واحد ، فإذا اختلف الزمن، ودلّ أحدهما صراحة على أنه ناسخ أو منسوخ ، فإن الجمع بينهما كأنه جمع بين ما هو دليل وما ليس بدليل .

(٦) أن يكون الجمع بين الدليليْن لغرض صحيح وعلى وجه صحيح، أىْ أن يكــون الغــرض هــو رفع التعارض القائم بينهما ، وأن يكــون هــذا العمــل مقبولاً وغير متكلَّف ولا يخرج عن مقاصد الشريعة .

(٧) أن يكون القائم بالجمع بين الحديثيْن أهلاً لذلك ، من حيث العلم والخلق .

وفــيما يلى عدد الأمثلة لتوضيح ضرورة الأخذ بهذه القاعدة فى منهجنا لتناول الأحاديث النبوية ودراسة الدلالات والإشارات (والإعجاز) العلمية الواردة بها ،،، .

مثال (١): أحاديث العزل فى الجماع :

عَــزْلُ الرجل عن امرأته عند الجماع هو قذف منيّه (Seminal fluid Ejaculation) خــارج فــرجها ، بهدف عدم الحمل منه (وهو بذلك يُعَد وسيلة للوقاية من الحمل). ولقد وردت فى العزل أحاديث، منها عــن جابرﷺ قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ ، والقرآن ينزل -

متفق عليه . وفى رواية مسلم: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغه ذلك فلم ينهنا.

إلاّ أن هناك حديث عن جدامة بنت وهب (أو جندل) الأسدية التى حضرت مجلساً لرسول الله ﷺ حين سأله ناس عن العزل ، فقال : (ذلك الوأد الخفّى ، وهى ﴿ إذا الموءودة سئلت ﴾) رواه أحمد ومسلم .

فكيف يمكن الجمع بين هذا الحديث الذى ينهى فيه رسول اللهﷺ عن العزل ، والأحاديث الأخرى التى لم ينه فيها عنه ؟ الإجابة عن هذا السؤال نجدها فى كتاب (كيف نتعامل مع السنة ؟) (١٠٤) ، وفيما يلى النقاط الرئيسة التى وردت فيها :

١) حمل البيهقى هذا الحديث على التنزيه .
٢) ومن العلماء مَنْ ضعّف حديث جدامة لمعارضته أحاديث رُويت من طرق أكثر .
٣) ومن العلماء من ادّعى أنه حديث منسوخ ، وردّ بعدم معرفة التاريخ .

وقد أخرج الحافظ البيهقى فى سننه الكبرى الأحاديث والآثار القاضية بإباحة العزل ، وهى كثيرة ، ثم خصص بابا لمن كره العزل ومن اختلفت الرواية عنه فيه ، وما روى فى كراهيته ، وذكر فيه حديث جدامة بنت وهب الذى أخرجه مسلم ، ثم قال : (وقد روينا عن النبى ﷺ خلاف هذا ، ورواة الإباحة أكثر وأحفظ ، وأباحه مَنْ سمّيْنا من الصحابة (يعنى : سعد بن أبى وقاص ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ،

---

(١٠٤) د / يوسف القرضاوى : مرجع سابق .

وابن عباس ، وأبا أيوب النصارى وغيرهم) فهى أولى ، وتحتمل كراهية مَنْ كرهه منهم التنزيه دون التحريم .

مثال (٣): الفقر والغنى :

خصـــص بعض المصنفين للحديث النبوي أبوابا لامتداح الفقر وذم الغـــنى ، بالرغم من ورود أحاديث أخرى للاستعاذة بالله من الفقر والثناء على المال الصالح، مما يحدث اضطرابا فى الفهم لأحاديث الفقر والغنى .

ومـــن كتب الحديث يخصص البخاري فى صحيحه بابا بعنوان (فضل الفقر) ، أورد فيه أول الأحاديث عن سهل بن سعد الساعدى الذى رواه عـــندما مرَّ رجل على رسول الله ﷺ من أغنياء المسلمين ، ثم مرَّ آخـــر مـــن فقـــرائهم ، فقال رسول الله ﷺ لسهل : (هذا خير من ملء الأرض مـــثل هذا) ، فهل استحق الرجل الفقير هذه الخيرية بسبب فقر ؟ الإجابة عن هذا السؤال نجدها فى كتاب (أسباب ورود الحديث) (١٠٥) ، وقد ورد فيها : إن الحديث لا يذكر هذا ، وإنما يصحّح مفاهيم الناس فى موازين الرجال ، وأن الفضل قد يكون للرجل الفقير إذا كان صالحاً ، وقد يكـــون للغنى إذا كان صالحاً ، أما اتخاذ الغنى وحده مقياساً للتفاضل بين الناس ، فهذا صحّحه رسول الله ﷺ فى هذا الحديث .

ويؤكد هذا قول الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١٣)﴾ [سورة الحجرات]، وقول رسول الله ﷺ لأبى ذر : يا أبا ذر ، أترى كثرة المـــال هو الغنى ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : (فترى قلة المال هو الفقـــر ؟) ، قـــال: نعـــم يا رسول الله ، قال : (إنما الغنى غنى القلب ،

---

(١٠٥) د / محمد رأفت سعيد : مرجع سابق .

والفقر فقر القلب) ... كما دعى رسول الله ﷺ لخادمه أنس بطول العمر، وبكثرة المال ، حين سألته أم أنس أن يدعو له ، وقد ورد هذا فى صحيح البخارى ، وقد استجاب الله له ، فأصبح أنس من أصحاب الأموال، وكثر نسـله حـتى بلغ سبعين نَفْساً ... كما ورد فى صحيح البخارى استعاذة الرسول ﷺ من فتنة الفقر ، كاستعاذته من فتنة الغنى، فى حديث روته أم المؤمنيـن عائشـة رضى الله عنها ، وهذا يؤكد أن الغنى والفقر كلاهما يسـتعاذ من فتنه . وقد جعل البخارى باب (الاستعاذة من فتنة الغنى) ، وأتبعه بباب آخر فى (التعوذ من فتنة الفقر) .

فمـاذا عن الحديث الذى أخرجه الترمذى فى سننه وقال عنه : هذا حديث غريب ، وقد رواه عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول : (اللهـم أحينى مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين يـوم القيامة...). وقال العلامة الدكتور/ القرضاوى (١٠٦) : إن الحديث رواه ابـن ماجه فى سننه عن أبى سعيد الخدرى ، والطبرانى عن عبادة ابـن الصامت. وقال : قرأ بعضهم الحديث .. ففهم من المسكنة الفقر من المـال ، والحاجـة إلـى الناس ، وهذا ينافى استعاذة النبى ﷺ من فتنة الفقـر، وسؤاله من الله تعالى العفاف والغنى ، وقوله لسعد (إن الله يحب العـبد الغـنى الـتقى الحفـى) ، وقوله لعمرو بن العاص : (نِعْمَ المال الصالح للمرء الصالح) ، واستعاذته من الفقر وقرنه له بالكفر : (اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر) ، فما المقصود بالمسكنة فى الحديث ؟

---

(١٠٦) د / يوسف القرضاوى : مرجع سابق .

قـال ابـن الأثير : أراد به التواضع والإخبات ، وألاّ يكون من الجباريـن المتكبريـن ، وهكذا عاش ﷺ بعيدا عن حياة المستكبرين ... وأمـا أحاديـث مـدح الفقر ، فيعللها د / محمد رأفت سعيد بأنها وردت (لتسلية الفقراء وتشجيعهم على الصبر والرضا بقضاء الله)(١٠٧).

مثال (٣): أحاديث العدوى : نفياً وإثباتاً :

هـناك أحاديـث نـبوية يدل ظاهرها على ***نفى وجود العدوى*** ، ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه قول رسول الله ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) . وروى البخارى فى صحيحه – أيضاً – قول رسـول الله ﷺ : (لا عـدوى ولا صفر ولا هامة) ، فقال أعرابي : يا رسـول الله: فمـا بـال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فيأتي البعير الأجـرب فيدخل بينها فيجربها ؟ فقال: (فمن أعدى الأول ؟) ... وروى مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قـال : (لا عـدوى ولا طـيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول) ... وروى الـترمذى فـى سننه عن جابر بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجـذوم فأدخلـه معـه فى القصعة ، ثم قال : (كُلْ باسم الله، ثقةً بالله وتوكـلا علـيه)، وفى سنده ضعف، ورواه أيضاً ابن ماجه فى سننه من حديث جابر بن عبد الله .

هـذا ، وهناك أحاديث نبوية أخرى ***تثبت وجود العدوى*** ، ومنها قـول الرسـول ﷺ عـن الطـاعون : (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوهـا ، وإذا وقـع بـأرض وأنـتم بها ، فلا تخرجوا منها) أخرجه

---

(١٠٧) د / محمد رأفت سعيد : مرجع سابق .

الـبخارى ... وقصـــة طاعون عمواس بالشام معروفة فى كتب السيرة، وأمـــر عمر بن الخطاب ﷺ الصحابة بالتوقف عن دخول البلدة المصابة بهـذا المـــرض المعـدى ، وقول عبد الرحمن بن عوف فى هذه الحادثة لعمـــر: سـمعت رســول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) .

كمـــا أن رسول الله ﷺ وضع أساس ***"الحجر الصحى"*** بأحاديث أخـــرى ، إضـــافة إلـــى الحديث السالف الذكر ، وهو إجراء وقائى لمنع انتشـــار الأمـــراض المعدية أو الأمراض الوبائية . ومن أحاديثه الشريفة أيضـــاً قوله ﷺ : (لا يوردنَّ ممرضٌ على مصح) رواه الشيخان . وقال أيضـــاً : (لا يـــوردنّ ذو عاهة على مصح) . وكان فى وفد ثقيف رجل مجـــذوم، فأرســـل إلـــيه رسول الله ﷺ : (إنا قد بايعناك فارجـــع) رواه مسلم... .

وهـــناك رواية لحديثه ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة...) مثبتة فى صـــحيح البخارى ، هى: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفرَّ مـــن المجـــذوم كما تفر من الأسد) . ففى النصف الأول من الحديث نفى (ظاهرى) لوجود العدوى ، وفى نصفه الأخير إثبات لوجودها .

وفى سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (لا تديموا النظر إلى المجذومين). وروى ابن السني وأبو نعيم فى " الطب " عـــن عـــبدالله بن أبى أوفى ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : (كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين) .

كيف يمكن الجمع والتوفيق بين تلك الأحاديث وهذه الأحاديث؟

بذل عالمان جليلان جهداً مشكوراً للإجابة عن هذا السؤال هما د/محمود طلوزى[١٠٨] ، د/محمد سعيد السيوطى [١٠٩] ، ونحن بدورنا نورد هنا ملخصاً لما توصّل كلاهما إليه فى هذا الموضوع .

١) المراد بنفى العدوى أن شيئاً لا يعدى بذاته ، وإنما يعدى بإرادة الله ومشيئته . ولما كانت العرب فى الجاهلية تعتقد فى أن الأمراض تعدى بطبعها ، من غير إضافة لله تعالى ، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك ، وأكل مع المجذوم ، ليبيّن لهم أن هذا من الأسباب التى أجرى الله العادة بأنها تفضى إلى مسبباتها ، ففى نفيه ﷺ إثبات الأسباب، وفى فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذى إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً ، وإن شاء أبقاها فأثرت.

٢) قال القاضى أبو بكر الباقلانى : إثبات العدوى فى الجذام ونحوه مخصوص فى عموم نفى العدوى ، فَنَفْى الرسول ﷺ بقوله : (لا عدوى) عام ، أما قوله : (وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد) يثبت وجود العدوى فى أمراض معينة ، كالجذام والطاعون والجرب وغيرها من الأمراض السارية، فأحاديث الوقاية تخصّ الأمراض السارية (المُعْدية) فقط . وبالتالي خلّص الرسول ﷺ

---

(١٠٨) د/ محمود طلوزى : مرجع سابق .

(١٠٩) د / محمد سعيد السيوطى : مرجع سابق

الناس (أو بعض الناس) الذين كانوا يعتقدون أن جميع الأمراض تنتقل بالاختلاط والعدوى .

٣) إن نفـــى النبى ﷺ بقوله : (لا عدوى) ، إنما هو على غرار (لا ضــــرر ولا ضــــرار) ، فـــإن الضرر بين الناس أمر واقع ، فليس المقصود نفى وجوده ، وإنما المراد هو النهى عن إيقاعه .

٤) ويمكـــن تطبيق هذا على قوله ﷺ : (ولا طيرة) ، المعطوفة على (لا عـــدوى)، فإن نفى الطيرة – وهى التشاؤم – لا يمكن أن يكون نفـــيا لوجـــوده بالجملة ، لأن كثيراً من الناس يتشاءمون ، فمعنى قوله ﷺ : (ولا طيرة) ، أىْ : ولا تطيروا .

٥) يقـــول بعـــض العلمـــاء : إن حديث أخذ الرسول ﷺ بيد المجذوم وإدخالها فى القصعة ، هو حديث غير ثابت وغير صحيح . وغاية مـــا قالـــه الترمذى : إنه غريب لم يصححه ولم يحّسنه . وقد قال شعبة وغيره : اتقوا هذه الغرائب.

٦) فـــى الحديث النبوى : (فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد) معجزة علمـــية ، وهـــو التعبـــير بالأسد ، وليس بحيوان آخر ، إذ توصل العلماء فى العصر الحالى إلى أن وضع الذرات التى تخلَّق فى جسم المجذوم تظهر تحت الميكروسكوب (المجهر) على صورة الأسد .

٧) ثبـــت أن أبـــا هريـــرة رجع عن التحديث بالحديث (لا عدوى ولا طـــيرة) ، وبهذا يزول الخلاف والتناقض الظاهرى بين هذا الحديث الـــذى يـــنفى وجود العدوى وبين الأحاديث التى تثبت وجودها ... وحـــتى إذا سلمنا بصحة هذا الحديث ، فإنه ينطبق على الأمراض

البنيوية والعادية ، أى أنه (لا عدوى) فى غير الأمراض الوبائية والسارية (المعدية).

وقبل أن نختم موضوع(أحاديث العدوى)، نود الإشارة إلى نهى ورد فى حديث الرسول ﷺ ، وهو : (ولا صفر) ، فقد قيل إنه شهر صفر ، الذى بين المحرم وربيع الأول، وهو واحد من الشهور العربية . ثم اختلفوا فيه على قولين(١١٠) :

١) ما روى عن الإمام مالك أن المراد هو نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسئ الذى كانوا يتلاعبون فيه بالتوقيت العربى المتسلسل على وفق ما وضع الله تعالى عنده منذ خلق السماوات والأرض ، بحيث لا يتأخر شهر عن مكانه الذى يحمل اسمه المستوارث منذ بدء الخليقة ، ولا يتقدم ، كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله جل شأنه :... ﴿ إنما النسئ زيادة فى الكفر ... (٣٧) ﴾ [سورة التوبة] . وقد نهى الرسول ﷺ عن هذه العادة الذميمة فى حديثه الشريف الذى تعرض فيه لبعض المواقف المردودة من عادات أهل الجاهلية وتقاليدهم التى درجوا عليها .

٢) حكى داود عن محمد بن راشد المكحول : إن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون من شهر صفر ، لا لشيء إلاّ لأن اسمه صفر ، وهذا ما لا يقبله عقل سليم ، فالأيام والليالى والشهور كلها أوعية لعمل الخير أو الشر .

---

(١١٠) د / محمد محمد الشرقاوي : ولا صَفَر . مجلة الحج والعمرة (السعودية) ٥١ (٨) ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

(١٣)

الترجيح فيما بين النصوص الصحيحة المتعارضة

***

"**الترجيح**" هو بيان المجتهد للقوة الزائدة فى أحد الدليلين الظنيين المتعارضين ليعمل به. وذهب جمهور المحدثين والفقهاء والأصوليين إلى جواز الترجيح بين الأدلة عند التعارض، ووجوب العمل بالدليل الراجح دون المرجوح (١١١) . نقل محمد أحمد (١١٢) عن الزرقانى (فى " مناهل العرفان") عن السيوطى (فى " الإتقان ") قوله : كل لفظ احتمل معنيين فصاعدا، فهو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتماد الدلائل دون مجرد الرأى . فإن كان أحد المعنيين أوضح وجب الحمل عليه إلاّ ان يقوم الدليل على إرادة غيره . وإذا تساويا والاستعمال فيهما حقيقة ، لكن فى أحدهما لغوية أو عرفية ، وفى الآخر شرعية ، فالحمل على الشرعية أولى إلاّ أن يدل الدليل على إرادة اللغوية ، كما فى قوله تعالى:﴿ فصل عليهم إنّ صلاتك سكن لهم (١٠٣)﴾ [سورة التوبة] . وإن كانت فى أحدهما عرفية وفى الآخر لغوية ،

---

(١١١) محمد خير حسب الرسول أحمد : مرجع سابق .

(١١٢) د / عبد الباسط السيد مرسى : مرجع سابق .

فالحمل على العرفية أولى (وذلك كلفظ " الغائط ") ... وإن اتفقا فى ذلك ، أيضـــاً ، فإنْ تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد ، كالقرء للحيض والطُهرْ ، اجتهد فى المراد منهما ، بالأمارات الدالة عليه ... .

هــذا ، وقــد حصــر صاحب كتاب (الأصــول فى دراسة سنة الرسول)(١١٣) شروط الأصوليين للترجيح بين المتعارضيْن ، فوجد من أهمها ما يلى :

١) استواء الحديثينْ المتعارضين فى الحجية ، وفى أحدهما قوة زائدة، كأن يكون راوي أحد الحديثيْن أفقه من راوي الآخر .

٢) تعذر الجمع بين المتعارضين ، بمعنى السعى من أجل الترجيح بين الحديثين فى حالة تعذر الجمع بينهما فقط .

٣) ألاّ يكون أحد الحديثين ناسخاً للآخر .

٤) ألاّ يكون الحديثان متواترين ، لأن المتواترين قطعيان ، ولا ترجيح لقطعى على قطعى ، لأن الترجيح لا يكون إلاّ فى الظنيّيْن .

٥) أن يكون المشتغل بالترجيح مستكملاً شروط الاجتهاد .

وقد ناقش صاحب الكتاب نفسه آليات وكيفيات وطرق الترجيح ، سواء باعتبار السند ، أم باعتبار المتن، أم باعتبار الحكْم أو المدلول، أم بحسب الأمر الخارجي، ولولا خوف الإفراط في التوسع والخروج بالكتاب الحالي عن هدفه الأساسي لعرضنا، ولو بإيجاز، لهذه الآليات والكيفيات!!

وعموماً ، فإن للترجيح وجوه كثيرة تتسع باتساع علم المرجح، وحسن النظر إلى المرجِّحات وتطبيقها على الروايات (١١٤) .

---

(١١٣) د / عبد الباسط السيد مرسى : مرجع سابق .

(١١٤) د/محمد رأفت سعيد : مرجع سابق .

(١٤)

الناسخ والمنسوخ

* * *

"**النسخ**" هـو التوقف عن الأخذ بنصٍ لأن هناك نصٌ آخر جـاء بعـده فأبطلـه أو عدّلـه ، فكأنّ الآخر (المتأخر) قد نسخ الأول (المـتقدم) .. ولكن كيف نعرف المتقدم من المتأخر في الروايات أو في الأحاديـث المـتعلقة بأمر من الأمور ؟ يمكن إيجاز الإجابة التفصيلية في النقاط التالية [١١٥] :

أ) قـد تكـون ألفاظ الروايات مصرّحة تحديد المتقدم والمتأخر ، كما في قـول النبـيﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) أخرجه الحـاكم عن طريق أنس بن مالك بسند حسن ، وفيه زيادة : (فإنها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكّر الآخرة ، ولا تقولوا هجراً) .. فالنهي عن الزيارة كان أولا ، ثم الأمر بالزيارة كان آخراً .

ب) وقـد يكون لفظ الصحابي ناطقاً بهذا التحديد للسابق واللاحق ، كما جـاء في حديث علي بن أبي طالب ﷺ :(كان رسول الله ﷺ أمرنا بالقيام في الجنازة ، ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس) .

---

(١١٥) د/ محمد رأفت سعيد : مرجع سابق

ج) وقـــد يكـــون التاريخ معلوماً من حكاية الصحابة رضوان الله عنهم كذلك، ومثال هذا ما رواه أُبَيّ بن كعب ﷺ قال: قلت: يا رسول الله إذا جـــامع أحدنـــا فأكســـل (يعني: ثم يفتر فلا يُنْزِل)، فقال رسول الله ﷺ: (يغســـل مـــا مَـــسّ المرأة منه وليتوضأ ثم ليصلّ) . ولكن الزهري سأل عروة عن ذلك فأجابه إن عائشة ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلـــك ولا يغتســـل ، وذلك قبل فتح مكة ، ثم اغتسل بعد ذلك وأمر الناس بالغسل .

د) وقد يكون تحديد السابق واللاحق استنباطاً من فهم الروايات . ومثال ذلـــك أحاديـــث النهي عن الكتابة (كتابة الحديث في زمن نزول القرآن) وأحاديـــث الأمـــر بها . فحديث النهي هو ما رواه أبو سعيد الخدري أن رســـول الله ﷺ قـــال : (لا تكتـــبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار).

إلاّ أن ما ورد عن عبد الله بن عمرو ﷺ في مسند الإمام أحمد يفـــيد أن الرســـول ﷺ أمر بكتابة حديثه ، فحين نهته قريش عن الكتابة أمسك عنها ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال له : (أكتب فوالذي نفسي بـــيده مـــا خـــرج مني إلاّ الحق) ، فكان النهي في البداية عن الكتابة مع القـــرآن فـــي صـــحيفة واحـــدة ، أو مطلقا ، خشية وقوع الخلط ، ولكن أحاديث الأمر بالكتابة نسخت حديث النهي عنها .

كمـــا أنـــه وجـــد من العلماء من قال بأن الأحاديث النبوية التي أثبتـــت العـــدوى نســـخت الأحاديـــث النافـــية لها ، وهى متأخرة عنها ، والمتأخر قد ينسخ المتقدم . ويقول صاحب كتاب (السنة مصدرا للمعرفة

والحضارة) [116] : .. ومثل ذلك إخباره ﷺ عن العدوى ، وفيها قوله : (لا عـدوى) ، وقولـه : (فمـن أعدى الأول ؟) . ثم إثباته ذلك في أحاديـث أخـرى ، مثل قوله ﷺ: (فرّ من المجذوم فرارك من الأسد) ، وقولـه ﷺ : (لا يـوردنّ ممرض على مصحٍّ) ، ونهْيه الدخول في بلد وقع فيه الطاعون .. وكلها من أحاديث الصحيحين ، أو أحدهما .

هـذا ، وقـد سبق أن عرضنا لموضوع أحاديث العدوى وكيف أمكن لبعض العلماء الجمع والتوفيق فيما بينها ، أي أنها ليست من قبيل الناسخ والمنسوخ ، كما ذهب صاحب الكتاب المذكور أعلاه [117] .

* * *

(١١٦) د/ يوسف القرضاوي : السنة مصدرا للمعرفة والحضارة . مرجع سابق

(١١٧) أنظر البند السابق مباشرة .

(١٥)

الإشارات العلمية سبيل للهداية الإسلامية

* * *

السبق العلمي وحده غير كاف للاستدلال على إعجاز الحديث النبوي :

بالــرغم من الفوائد المستثمرة من بحث ودراسة وجوه الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية ، وتوظيفها في دعوة غير المسلمين للإسلام، ولتثبيــت دعائم الإيمان وتقويتها في قلوب المسلمين ، إلاّ أنه يجب عدم عقد سباق بين إشارات ومدلولات الأحاديث النبوية وبين الكشوف العلمية الحديــثة ، لأنــنا بذلــك ندُخل سنّة الرسول ﷺ في تفصيلات ليست من أهدافهــا الرئيسة ، فالرسول ﷺ لم يبعث لتوضيح قوانين الطفو أو يخبر عن دوران الأفلاك ونظمها ، أو يتحدث في انشطار الذرة وارتياد الفضاء، وإنما بُعث لهداية البشر جميعهم ، ويقوم بهذه المهمة من بعده ورثته من العلماء على مرّ العصور إلى قيام الساعة ..

كمــا يجــب علــى القائم بهذه المهمة ألاّ يجزم بما يراه أو يفهمه أو يتوصل إليه في مدلول الحديث النبوي ، ولكن يجب أن يكون على سبيل الترجيح أو التوضيح أو الاحتمال أو الاستئناس ، وليس الجزم أو الحصر (١١٨) .

---

(١١٨) د/ كــارم الســيد غنيم : الإشـــارات العلمية في القرآن الكريم . مرجع سابق .

وبعـــبارة أخرى ، فإن جذب النصوص الشرعية (قرآناً وسنة) وإخضاعها لتوافق المعطيات العلمية عمل غير مقبول ، بل يجب أن تكون الحقـــائق الشرعية هى المعيار وهى الأساس ، وما عداها تابع لها ، وإلاَّ ســـتكون الإســـاءة إلى النصوص الشرعية وزجها ً فيما لم تنزل (أو ترد) من أجله ، وهو هداية الإنسان وإصلاح معاشه ومعاده (١١٩) .

المعرفة بالحقيقة العلمية طريق لتحصيل معارف أخرى :

إن الحقـــائق العلمية الواردة في الآيات القرآنية أو في الأحاديث النـــبوية لـــم تأت لمجرد السرد العلمي ، وإنما جاءت للاستدلال بها على حقـــيقة غيبية ، كوجود الله ، ووحدانيته ، أو قدرة الله في خلقه ورحمته بعباده ، أو البعث بعد الموت .

ولقـــد ضـــرب صـــاحب (موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي) (١٢٠) مثالين لهذا ، ***أولهما*** بقول الله تعالى : ﴿ يخرج الحي من الميـــت ويخـــرج الميـــت مـــن الحي ، ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخـــرجون (١٩) ﴾ [ســـورة الروم] . فإحياء الأرض بعد موتها بنزول المطـــر علـــيها يمكن الاستدلال العلمي منه على معرفة حقيقة الحياة بعد الموت يوم القيامة .

والمثال الثانـــي مـــن الحديث النبوي ، يقول الرسول ﷺ : (أتـــدرون أيـــن تذهب الشمس ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : (إن هـــذه تجـــرى حتى تستقر ساجدة تحت العرش ..)، وهو تفسير قول الله

---

(١١٩) محمد خير حسب الرسول أحمد : مرجع سابق .

(١٢٠) د/ أحمد شوقي إبراهيم : مرجع سابق .

تعـالى فـي سورة يس : ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨) ﴾ . وقد ثبت علميا أن الشمس تجري ، ويستمر جريانها إلى مستقرها ، وهو نهايتها .

ويقـرأ الـبعض كلمة (لمستقر) هكذا : لا مستقر ، وهذا يدل على ديمومة جريان الشمس حتى يأذن الله بموتها .. إن الشمس تجري ، شـأنها شأن كافة الأجرام السماوية ، فكافة هذه الأشياء والمخلوقات في السموات والأرض تجري ساجدة طائفة لله تحت عرشه سبحانه وتعالى ، ويؤكـده أيضاً قول الله تعالى في سورة الحج : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له مـن فـي السـموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس .. (١٨) ﴾

إنـه ***بالاستدلال الاستقرائي*** يتوصل الإنسان إلى معرفة الحقـائق العلمية والقوانين التي تحكم هذه الحقائق ، فإذا توقف عند هذا الحـد ينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عـن الآخرة هم غافلون (٧) ﴾ (سورة الروم). أما المؤمن فإنه يرتقي فـي رحلته العلمية إلى مستوى يصله ***بالاستدلال القياسي*** ، ليصل إلـى معرفة خالق هذه الحقيقة العلمية، أيْ يصل إلى الإيمان بالله تعالى (١٢١).

الإرشادات الطبية ليست من مهام الرسالة :

التعالـيم الطبـية والإرشـادات الصحية التي وردت في القرآن والسـنة ليسـت من مهام الرسالة ، ولكنها تحث المسلمين على مراعاة

---

(١٢١) د/ احمد شوقي إبراهيم : نفس المرجع .

الصـــحة وصـــيانة النفس والبدن ، كي تكون الأمة صحيحة بدنيا سليمة نفســيا ، صـــحة تواكب صحة العقيدة والشريعة .. وبالرغم من أن هذه التعالـــيم والإرشـــادات لا تخلـــو من إشارات علمية وطبية مهمة ، فإن الصـــحابة لـــم يفطنوا إليها ، وإن كانوا على يقين بأن هذه التعاليم وتلك الإرشادات تنطوي على حكم عظيمة .

وجـــاءت أجـــيال بعد ذلك ، فجمعوا أحاديث الرسول ﷺ في هذا المجال تحت عناوين، مثل: ***الطب النبوي ، طب النبي ، الطب الإسلامي ..*** ويذهـــب بعـــض العلمـــاء إلى أن هذه الأحاديث النبوية إنما هى من باب الإرشـــاد الذي لا ينقص الثواب بتركه ولا يزيد بفعله (١٢٢) . . . بمعنى أن هـــذا ليس من أمور الدين التي يثاب فاعلها ، أو يلام تاركها ، بل هو لأمر دنيوي تابع من تجربة البيئة العربية ... فالرسول ﷺ لم يبعث بطب الأجسام ، فذلك له أهله ، وإنما بعث بطب القلوب والعقول والأنفس ،ولم يدّع ﷺ العلم بالطب ، ولم يبعث لذلك (١٢٣) .

***

(١٢٢) د/يوسف القرضاوي: السنة مصدرا للمعرفة والحضارة: مرجع سابق.

(١٢٣) د/ يوسف القرضاوي : نفس المرجع .

الخاتمة

يحتوي المنهج الحالي خمس عشرة قاعدة ، أو ضابط – يمكن إيجازها فيما يلي :

١) **القواعد اللغوية والضوابط البيانية :** إذ لا يتوقع فهم لمن لا يعرف لغة ما لنص مكتوب بها ، ناهيك عما تتميز به اللغة العربية من أساليب متعددة ، وما طرأ على مفرداتها من تغير في الدلالات عبر العصور المتوالية . وعليه ، فمن الواجب مراعاة أقسام اللفظ ، من خاص وعام ومشترك ، ومن حقيقة ومجاز ، وصريح وكناية . وكذلك مراعاة تعدد مدلولات اللفظ ، وهذه خصيصة من خصائص اللغة العربية .

٢) **توثيق النصوص :** إذ أن النصوص الواردة ليست جميعها في نفس الدرجة من الثبوت والنسبة إلى رسول الله ﷺ ، ومن ثم فيجب قبل أية مسألة في الحديث النبوي أن نستوثق من ثبوته وصحة نسبته إلى الرسول ﷺ ، وفقاً للمعايير التي وضعها أهل الاختصاص ، سواء كان هذا الحديث مندرجاً في السنة القولية ، أم السنة الفعلية ، أم السنة التقريرية ، ويشتمل هذا الاستيثاق على السند والمتن . كما يجب على الباحث أن يكون ملماً بالقواعد العامة والأصول اللازمة في علوم الحديث، وعلى دراية بمستويات كتب الحديث، وأقسام الصحيح ، ومعرفة شروط رواية الحديث بالمعنى دون اللفظ .

٣) **التثبت من المعطيات العلمية الحديثة :** فالمعارف العلمية في تطور دائم ، وهذه خاصية من خصائص العلم ، ولذلك فعلى الباحث

أن يكون واعياً لمستويات العلم ، من ظنون وتخمينات وفروض ونظريات وحقــائق . على أنه من الأحوط أن يقوم الباحث بشرح الأحاديث النبوية باليقينــي الثابــت من العلوم ، لا بالظنون ولا بالفروض ولا بالنظريات ، لأن ربــط النصــوص الشــرعية (قــرآنا وسنة) بالمتغير من العلم، لا الحقــائق الثابــتة فــيه ، قــد يــؤدي إلى إنكار البعض من الناس لهذه النصوص إذا تغيرت الفروض والنظريات أو تعدلت أو رفضت أو هدمت .

ومــن الواجب على الباحث – أيضاً – ألاّ يجزم بأن ما توصّل إليه في فهم الحديث النبوي هو القول الفصل ، بل يترك الباب مفتوحاً لفهم جديد وشــرح مــزيد مــع توالــي العصور وتطور العلوم ، وذلك لــ (نسبية المعــارف العلمية) ، كما أشرنا . وإذا وقع تعارض بين نص من الوحي وبين نظرية أو حقيقة علمية ، فعلى الباحث أن يكون ملما بكيفية معالجة هذا الأمر .

٤) الوحدة الكلية ودور القرآن في فهم الحديث :إذ من الواجب فهــم جزئــية معينة في الحديث النبوي في إطاره العام ، وضمن الوحدة الكلية للحديث ، أيْ لا يجوز اجتزاء عبارة أو جملة أو لفظة من السياق ، أو انــتزاعها ، دون وضــعها في جو السياق العام لها . أما الاهتداء في فهم الحديث بما ورد بشأن موضوعه في القرآن الكريم ، فهو مما لاشك في ضرورته ، إذ إن القرآن هو الميزان الأساسي لقبول الحديث أو لفهمه فهما صائبا .

٥) خطورة ردّ أحاديث الآحاد :وهى الأحاديث التي يخطئ البعض حين يظن بأنها هى التي رواها راو واحد ، بل حديث الآحاد هو الذي لم يصل

نقلــته مبلغ الحديث المتواتر . ومعظم الأحاديث في كتب الصحاح من هذا الصـــنف ، إذ المـــتواتر فـــيها قلـــيل . أما إنكار أحاديث الآحاد، أو عدم الاحـــتجاج بهـــا ، فلـــيس ولـــيد العصـــر ، بل يمتد إلى عصر الخوارج والرافضـــة والمعـــتزلة ، وذلك لأسباب عديدة تتعلق بالأهواء الشخصية والتوجهات المذهبية . إلاّ أن العمل بأحاديث الآحاد له شروط ، سواء في الراوي (المخبر)، أم في مدلول الحديث (المخبر عنه)، أم في اللفظ الدال (الخبر نفسه) ..

وأمـــا حجية العمل بأحاديث الآحاد ، فثابتة ، وعلى هذا تعددت الأدلة من القرآن ومن السنة ومن الإجماع . وهناك أمور ومسائل وموضوعات شـــتى ثبتت عن طريق أحاديث الآحاد، كالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ، ومعجـــزاته كلهـــا ما عدا القرآن ، وأحاديث بدء الخلق ، وصفات عوالم الغيب .. .

٦) خطـورة ردّ الأحاديـث الصحيحة – عمومـاً : فهـــناك أحاديـــث صـــحيحة، توقف البعض عندها ، ولم تسعفهم قرائحهم بإدراك ما فيها ، أو بفهم مدلولاتها ، فردَّها البعض أو أنكرها، أو اعتبرها من الضعيف أو الموضـــوع ، وليس من الصحيح الثابت ، سنداً ومتناً . ومن أهم الأمثلة التـــي يمكن ضربها في هذا المجال : حديث خلق العالم الأرضي ، حديث الذبـــاب ، وحديث الفأرة .. وإن كانت هناك أحاديث صحيحة كثيرة يردّها البعض ، كأحاديث الشفاعة!!

٧) الموقـف من الأحاديـث الضعيفة : فإذا كان بعض العلماء قد أجاز الأخـــذ بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال والحث على الخير والبر ، فإن في الصحيح ما يغني عن الضعيف ، إذ أن الأحاديث الضعيفة ما هي

إلاّ ملفقات نسبها البعض زوراً إلى رسول الله ﷺ، وبهذا فهم يُدخلون في الديــن مـــا ليس منه . أما رواية الحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، فإنهـــا لا تعني إثبات حكم به ، ويجب على الباحث أن يبتعد عن الأحاديث الضعيفة التي تشتمل على مبالغات أو تهويلات يمجّها العقل أو الشرع أو اللغة .

٨) الشرح الموضوعي للسنة : يجب جمع الأحاديث الصحيحة التي تشـــير تصريحاً أو تلميحاً إلى الحقيقة الكونية أو الطبية ، وكذلك روايات الحديث الواحد ، وردّ متشابهها إلى محكمها، وحمل مطلقها على مقيدها، وشـــرح عامها بخاصّها ، بهدف دراستها وبيان ما تدل عليه من حقائق علمـــية أو حكـــم صحية . وإنه لمن الخطورة بمكان عظيم ، أن يقتصر الباحـــث فـــي فهـــم الظاهرة الكونية أو الحقيقة الطبية على حديث نبوي واحـــد، أو على رواية واحدة للحديث النبوي ، إذ قد لا يتبيّن هذا إلاّ في ضوء بقية الأحاديث المتعلقة بالموضوع .

٩) تخصيص العموم : وردت أحاديث نبوية عديدة في مناسبات خاصة وظروف معينة ، وبالرغم من ذلك سحبها البعض لتعم وتشمل ولا تخص أو تقصر .. والأحاديث المحتوية لإشارات علمية أو حكم صحية أو أمور طبية ، قد تكون مفيدة لجميع الأحوال وكافة البيئات، وقد لا تكون هكذا ، وهـــذا يتضح من فقه التخصيص الوارد فيها ودراسة ظروفها .. كما أن هـــناك قاعدة أخرى متعلقة بالقاعدة الحالية ، هى (الحصر النسبي) ، أيْ الحصـــر غـــير المطلـــق ، وهـــذا شكل من أشكال بلاغة الرسول ﷺ في التعبـــير، وذلك لجذب الانتباه ، ولكن دون أن يقصر قصراً حقيقيًا، ولعل

حديثه الشريف : (الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل، أو كية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي) لدليل على عدم قصر هذه العلاجات الثلاثة ، إذ إنه ﷺ وصف أنواعاً أخرى لعلاج الأمراض والعاهات والأوجاع والآلام ، في مناسبات أخرى .

١٠) **معرفة أسباب الورود** : لمّا كانت الأحاديث النبوية تعالج الكثير من الأمور الجزئية والمسائل الفرعية والمشاكل الموضعية والتفاصيل الخاصة ، التي لم يتناولها القرآن ، فإن من الواجب على الباحث أن ينتبه للظروف والمناسبات والملابسات التي ورد فيها الحديث النبوي ، حتى يمكن فهمه فهما سليما ، واستنباط ما يمكن استنباطه. وفي السيرة أمثلة تدل على أن الصحابة تركوا العمل بظاهر بعض الأحاديث ، حين تبدّلت تلك الحال عما كانت عليه في زمن الرسول ﷺ .

١١) **الثابت والمتغيّر في الأحاديث** :فالثابت هو الهدف ، والمتغير: هو الوسيلة لتحقيق هذا الهدف ، ويجب عدم الخلط بين الاثنين ، كما يجب عدم الاهتمام أو التركيز على الوسيلة دون الهدف . والأمثلة لذلك عديدة، منها أحاديث فضل الرمي بالسهم ، فالسهم وسيلة وليس هدف ، وسيلة تتغير بتغير العصور وتقدم الحضارة وتطور التقنيات ، أما الهدف فهو الرمي ، وهو الثابت عبر العصور . وكذلك أحاديث رؤية أول رمضان للصوم ، فالرؤية المجردة كانت في زمن الرسول ﷺ لأن الأمة كانت لا تكتب ولا تحسب (وورد بهذا حديث نبوي شريف) ، ولكن بعد تقدم العلوم ، أصبح الحساب الفلكي وسيلة مهمة لتحديد بدايات الشهور..

١٢) الجمع والتوفيق بين النصوص الصحيحة المتعارضة :لا يمكن أن يكون الاختلاف فيما بين النصوص ذاتيا ، لأن مصدرها واحد، ولأن مصدرها هو الوحي من الله ، ولذلك فالتعارض فيما بين النصوص الثابتة الصحيحة لابد وأن يكون مصدره قصور في كفاءة الباحث . ولقد وضع العلماء شروطاً للعمل بقاعدة التوفيق أو الجمع بين هذه النصوص الصحيحة التي يبدو فيما بينها تعارض ، منها : ثبوت الحجية لكل من الحديثين المتعارضين، عدم إبطال نص شرعي إذا حدث الجمع بينهما ، زوال التعارض فيما بينهما ، عدم الاصطدام بحديث ثالث يخالف هذا الجمع، أن يكون الحديثان واردين في زمن واحد ، حتى لا يكون أحدهما ناسخاً لما قبله .. إلخ .

١٣) الترجيح فيما بين النصوص الصحيحة المتعارضة : وهو مذهب المتحدثين والفقهاء والأصوليين ، الذين أوجبوا العمل بالحديث الراجح دون المرجوح . أما الحديثان المتعارضان اللذان يخضعان لأعمال هذه القاعدة ، فيجب استوائها في الحجية ، ويجب إعمالها بعد تعذر الجمع بينهما ، ويجب ألاّ يكون أحدهما ناسخا للآخر ، ويجب ألاّ يكون أحدهما أو كليهما متواترا ، لأن الأحاديث المتواترة قطعية وليست ظنية الدلالة .

١٤) الناسخ والمنسوخ : "**النسخ**" هو التوقف عن الأخذ بنص لأن هناك نصّ آخر جاء بعده فأبطله أو عدّله ، فكأنّ الآخر (المتأخر) قد نسخ الأول (المتقدم) . ويمكن معرفة المتقدم تاريخيا بعدة أشياء ، كأن يكون المتن يصرح بذلك ، أو ينطق به لفظ الصحابي ، أو يُعرف من حكاية الصحابة له ، أو من فهم الروايات ، .. الخ.

١٥) الإشارات العلمية سبيل للهداية الإسلامية :لا يجوز عقد سباق بين إشارات ومدلولات الأحاديث النبوية وبين الكشوف العلمية الحديثة ، لأننا بذلك نزج بسنة الرسول ﷺ في تفصيلات ليست من أهدافها الرئيسة، فالرسول ﷺ بُعث لهداية البشر جميعهم ، ولم يُبعث ليعلم الناس قوانين الطفو ودوران الأفلاك وانشطار الذرة وغيرها .

كما يجب أن تكون المعرفة بالحقيقة العلمية طريقاً لتحصيل معارف أخرى، بمعنى أن الحقائق العلمية الواردة في الأحاديث النبوية لم تأت لمجرد السرد العلمي ، وإنما جاءت للاستدلال بها على حقيقة غيبية، كوجود الله أو بيان قدرته في خلقه ..

* * *

قائمة المصادر والمراجع

***

- ابــن قتيــبة : تأويل مختلف الحديث . المطبعة العلمية (مصر) ، ١٣٢٦هـ .

ابــن قــيم الجوزية : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة . تصحيح وتعليق : محمود حسن ربيع . مكتبة حميدو (الإسكندرية) ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمــام المرســلين . المطبعة المصرية ومكتبتها (القاهرة) . بدون رقم الطبعة وتاريخها .

- أبــو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : صحيح مسلم . بشرح محيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي . المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة . بدون رقم الطبعة وتاريخها .

- د/ أبــو الفتوح مصطفى عيد : دراسات إكلينيكية وباكتريولوجية في الــتهابات العظــام الــناتجة عن الميكروب العنقودي . أطروحة لنيل درجــة الدكــتوراة مــن كلية الطب جامعة الإسكندرية ، منحت عام ١٩٦٨م .

- أحمد بن حسن بن أحمد الحارثي : الأحاديث النبوية التي استدل بها علــى الإعجــاز العلمــي . أطــروحة لنيل درجة الماجستير من كلية الحديــث والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

- أحمـــد بـــن علـــي بـــن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري . دار الريان للتراث بالقاهرة . ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- د/ أحمـــد ســـليم سعيدان : مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام . العدد (١٣١) في سلسلة عالم المعرفة (الكويت) ، ط١، ١٩٨٨م .
- د/ أحمـــد شـــوقي إبراهـــيم : موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي . ج١، ج٢ ، دار نهضة مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- د/ أميـــن رضا : حول حديث الذباب . مجلة التوحيد (مصر)، (٥)، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- حســـن أيـــوب : الحديـــث في علوم القرآن والحديث . دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- د/ خلـــيل إبراهيم ملا خاطر : الإصابة في صحة حديث الذبابة . دار القبلة للثقافة الإسلامية (الرياض) ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
- د/ ســـعد محمـــد محمد الشيخ المرصفي : مشكل الحديث في ضوء أصول التحديث : رواية ودراية . مجلة الهداية (البحرين) ، (١٧١ ، ١٧٢) ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م.
- سعيد حوى : الرسول ﷺ . مؤسسة الرسالة (بيروت) ، ١٩٧١ م.
- د/ ظافـــر عطـــار : الذبـــاب – مـــرض وشفاء . مجلة عالم الطب والصيدلية (دمشق) ، (٤/١٨) ، ٢٠٠٠ م .
- د/ عـــبد الباســـط السيد مرسي : الأصول في دراسة سنة الرسول . مكتبة الدعوة بالقاهرة، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م .
- د/ عـــبد البديع حمزة زللي : إعجازات نبوية متجددة . مجلة المنهل (السعودية) ، (٥٥٧) ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .

- د/ عـبد الغنـي عـبد الخالق : حجية السنة . المعهد العالمي للفكر الإسـلامي (واشـنطن) ، دار القـرآن الكـريم (بيروت) ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .
- د/ عـبد المهدي عبد القادر عبد الهادي : أحاديث معجزات الرسول التي ظهرت في زماننا . ج١ ، ج٢ ، مكتبة الإيمان (بالقاهرة) ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م .
- عبد المجيد بن عزيز الزنداني: المعجزة العلمية في القرآن والسنة . المؤتمـر الدولـي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. إسلام آباد، ١٩٨٧م.
- د/ عبد المنعم سيد نجم : التخريج . مجلة منبر الإسلام (القاهرة) ، ١٠ (٤٣) ، - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
- د/ عمـر بن حسن عثمان فلاته : الوضع في الحديث . رسالة حصل بها صاحبها على درجة العالمية (دكتوراة) من كلية أصول الدين – جامعة الأزهر ، ونشرتها في ثلاثة أجزاء مكتبة الغزالي (دمشق) ، ومؤسسة مناهل العرفان (بيروت) ، ط١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م.
- د/ غريب جمعة : لا تقعوا على سنة خاتم الأنبياء كما يقع الذباب في الإناء . مجلة منار الإسلام (أبو ظبي) ، (٣) ، محرم ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .
- د/ غريـب جمعـة : حول حديث الذباب : الذباب فيه سم وعلاج – مجلة منار الإسلام (أبو ظبي) ٤ (٢٨) ١٩٨٣ م .

- د/ كـــارم الســـيد غنيم : الإشارات العلمية في القرآن الكريم – بين الدراسة والتطبيق. ط١، دار الفكر العربي (بالقاهرة) ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م .
- د/ كارم السيد غنيم : سلسلة كتب النحلة للفتيان : الجزء (٨) : نبذة عـــن حياة الذباب . الجزء (٩) : جولة في عالم الذباب – دار الفكر العربي (بالقاهرة) ، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م .
- د/ كـــارم الســـيد غنيم : جهود وإنجازات الجهات العاملة فى مجال الإعجاز العلمى للقرآن والسنة . مشاركة فى ندوة (الإعجاز العلمى فـــى القرآن والسنة) – الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة ، إبريل ٢٠٠٣م .
- محمـــد خـــير حســـب الرســـول أحمد : ضوابط الإعجاز في القرآن والســـنة. المؤتمر الدولي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد١٩٨٧م.
- د/ محمـــد رأفـــت سعيد : أسباب ورود الحديث – تحليل وتأسيس . سلسلة كتاب الأمة (قطر) ، (٣٧) ، ط١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- د/ محمد سعيد السيوطي:معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ. مؤسسة الرسالة (بيروت) ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
- د/ محمـــد محمد أبو شهبة : دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكـــتّاب المعاصـــرين. سلسلة البحوث الإسلامية تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م .
- د/ محمـــد محمـــد الشـــرقاوي : ولا صَـــفَر . مجلـــة الحج والعمرة (السعودية) ٥١ (٨) ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م .

- محمد ناصر الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة . المكتب الإسلامي (بيروت) ١٩٨٥م.
- محمـــد نـــور سويد : هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته العقل ؟ مجلة الوعي الإسلامي (الكويت) ، (٤١٠) ، ١٤٢٠هـــ /٢٠٠٠م.
- محمد فاضل : الحراب في صدر البهاء والباب – دار المدني (جدة) ، ط٢ ، ١٩٨٦ م .
- د/ محمـــد فـــؤاد شـــاكر : حديث الآحاد ومكانته في السنة . مكتبة الحجاز للنشر والتوزيع (القاهرة) ، ط١ ، ١٩٩٤ م .
- د/ محمد فؤاد شاكر : من إعجاز السنة المشرفة . دار النيل للطباعة بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- د/ محمـــود طلـــوزي : فى رحاب الطب النبوي والعلم الحديث مكتبة الأسد (دمشق) . ط٢، ١٩٩٤م.
- محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي:الأذكار المنتخبة من كـــلام ســـيد الأبـــرار ﷺ . دار إحـــياء الكتـــب العربية بالقاهرة . تحقيق:طه عبد الرؤوف سعد، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- د/ يوســـف القرضـــاوي : كيف نتعامل مع السنة ؟ دار الوفاء للطبع والنشر بالمنصورة . ط١ ، ١٤١٠هـــ / ١٩٩٠ م .
- د/ يوســـف القرضـــاوي : الســـنة مصدرا للمعرفة والحضارة . دار الشروق بالقاهرة . ط١، ١٤١٧هـــ / ١٩٩٧ م .

* * *

نبذة عن المؤلف وأنشطته

* * *

الأستاذ الدكتور/ كارم السيد غنيم

من مواليد الشرقية – جمهورية مصر العربية

قضى مراحل التعليم قبل الجامعي بمحافظته ، ثم حصل على درجة البكالوريوس من كلية العلوم جامعة القاهرة في عام ١٩٧٣م ، وتم تعيينه معيدا بكلية العلوم جامعة الأزهر(بالقاهرة) في نفس العام...

حصل على دبلوم الدراسات الإسلامية (١٩٧٥م) ، ثم درجة الماجستير(١٩٨١م) ، ثم درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم من نفس الجامعة (١٩٨٥م) ، ثم سافر في مهمة علمية إلى كلية الموارد الطبيعية بجامعة كاليفورنيا (بيركلي) في الفترة : ١٩٩٠ – ١٩٩١م...

تدرج في السلم الوظيفي بجامعة الأزهر من معيد ، إلى مدرس مساعد ، إلى مدرس ، إلى أستاذ مساعد (مشارك) ، إلى أستاذ في تخصص علم وظائف أعضاء الحشرات اعتبارا من ١٩٩٥م .

القسم الأول: النشاط الأكاديمي:

أجرى ما يزيد على ثمانين بحثا في مجال تخصصه الأكاديمي ، بعضها منفردا وبعضها مشتركا مع بعض الزملاء في جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات المصرية . أشرف على ما يزيد على عشر رسائل ماجستير وست رسائل دكتوراه في مجال التخصص ، وهو لا يهتم

كثـيـرا بـالعدد وانمـا يركز كل همه على إعداد الطالب إعدادا متميزا يسـتطيع بعده أن يشق طريقه البحثي بجدارة ، ويواجه التحديات ويجتاز العقـبات التي تعترض طريق استعادة المجد العلمي والحضاري للمسلمين ... أمـا عناوين وبيانات النشر الخاصة بالبحوث الأكاديمية أو الرسائل الجامعـية ، فالمناسـبة الآن ليسـت مناسـبتها ، وتكفينا الإشارة التي أوردناها . كما أنه يؤمن بضرورة عودة الموسوعية في العلوم والمعرفة إلـى العلماء المسلمين ، ويبغض الانعزالية التي قطعت أوصال الحضارة ومزقت لحمتها ، ويقدر أهمية التخصص العلمي وقيمة البحوث المبتكرة.

شـارك في العديد من المؤتمرات العلمية (المتخصصة) في مصر وغـيرها من الدول ، بالبحوث أو المناقشات. كما يشرف بعضوية العديد من المجلات العلمية والأكاديمية(المتخصصة) .

القسم الثاني: النشاط غير الأكاديمي:

يشـارك صـاحب هـذه السيرة في المجال الثقافي والدعوى منذ منتصف سبعينات القرن العشرين الميلادي ، وحتى تحرير هذه السطور ، ويمكن إيجاز الأنشطة الثقافية فيما يلي :

أولا: عضوية الجمعيات والمجالس والمجامع والإشراف الثقافي:

- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو المجمع المصري للثقافة العلمية (وعضو مجلس إدارته خلال فترة ماضية) .
- شارك في الندوة الموسعة التي عقدها المعهد العالي للفكر الإسلامي – مكتـب القاهـرة حـول (سنن الله في الآفاق والأنفس) ، عـام ١٩٨٩ .

- شـــارك فـــي إعداد موسوعة " تاريخ الحركة العلمية في مصر في العصـــر الحديـــث : علم الحشرات " ، التي نشرتها أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م.
- شـــارك ببحـــث فـــي المؤتمر العلمي الأول " للكتابة العلمية باللغة العربـــية " ، المنعقد في جامعة العرب الطبية – بنغازي – ليبيا في سنة ١٩٩٠م.
- شـــارك ببحـــث فـــي مؤتمـــر " التراث العلمي العربي في العلوم الأساســية " ، المنعقد في جامعة الفاتح – طرابلس – ليبيا في سنة ١٩٩٠م.
- شـــارك في فاعليات مؤتمر " المناهج التربوية والتعليميـــة في ظل الفلســـفة الإسلامية والفلسفة الحديثة " ، الذي نظمه المعهد العالي للفكر الإسلامي – مكتب القاهرة ، سنة ١٩٩٠م.
- شـــارك فـــي ، وأشرف على ، موسوعة " آيات إلهية " ، باللغتين العربية والإنجليزية ، خلال الفترة من ١٩٨٩ – ١٩٩١م .
- أميـــن عام جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بجمهورية مصر العربية ، ومقرر اللجنة الثقافية بها منذ سنة ١٩٩٠م .
- حصـــل علـــى جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي (التي يدعمها المستشـــار الدكـــتور/ محمـــد شوقي الفنجري) تحت إشراف هيئة قضايا الدولة بجمهورية مصر العربية في عام ١٩٩٢م .
- شـــارك في فاعليات " مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم " الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية وعقدته في رحاب جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٩٣م.

- شـــارك ببحث في ندوة تعريب العلوم المنعقدة بكلية الهندسة جامعة الأزهر بالقاهرة في سنة ١٩٩٥م.
- شـــارك بالحديث المكتوب في ندوة حول (دراسة الإشارات العلمية للقرآن الكريم) بمؤسسة الأهرام بالقاهرة في رمضان ١٤١٥هـ – فبراير ١٩٩٥م .
- أشـــرف على الطبعة الثانية (المزيدة والمنقحة) من المعجم الطبي الصيدلي (دار الفكر العربي بالقاهرة) ١٩٩٥م.
- عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر منذ عام ١٩٩٦م ، ويعمـــل مقررا للجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة اعتبارا من عام ٢٠٠٢م .
- شـــارك بالحديـــث فـــي ندوات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة التي تجـــريها جامعـــة جـــنوب الوادي بمصر خـــلال الأعوام ١٩٩٦-١٩٩٩م ، ويشـــارك بعد ذلك في الإعداد لهذه الندوة السنوية حتى تاريخ تحرير هذه السطور .
- حصـــل علـــى (جائـــزة الإمـــــام أبـــو العزائـــم لخدمة الدعوة الإسلامية) بمصر في عام ١٩٩٦م .
- حصـــل علـــى جائزة أحسن كتاب علمي في معرض الشارقة الدولي للكـــتاب لعام ١٩٩٨م ، بكتابه (الاستنساخ والإنجاب : بين تجريب العلماء وتشريع السماء) .
- قام بالإشراف الفني (العلمي) على المرحلـــة الأولى من مشروع " كشـــاف مؤلفـــات الإعجـــاز العلمي للقرآن الكريم " في لجنة وقف

الإعجاز العلمي للقرآن بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف – خلال الفترة من ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م.

- أدار بعض الندوات التي أجراها مكتب القاهرة التابع للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي ، خلال الفترة من ٢٠٠٠ – ٢٠٠٢م .
- أشرف على النشاط الثقافي لجمعية " أولي العزم " بالقاهرة لعدة مواسم ثقافية قبل عام ٢٠٠١م.
- نشر مكتب ألبا بريس بالقاهرة كتابا عن صاحب هذه السيرة هو باكورة سلسلة (أعلام الفكر الإسلامي والعلوم الطبيعية) من إعداد د/ بكر حقي إسماعيل ، ممثل حكومة كوسوفا بمصر، ط١، ٢٠٠٢م.
- عضو مؤسس للمجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة ، والأمين العام له منذ تأسيسه في عام ٢٠٠٣م.

ثانيا: المقالات والبحوث المنشورة :

نشرت لصاحب السيرة الحالية أكثر من (٤٠٠) مقالة وبحث (باللغتين العربية والإنجليزية) ، في مجالات الفكر الإسلامي والثقافة العلمية والإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، على صفحات العديد من المجلات الإسلامية والعلمية والثقافية في مصر ، ومشرق ومغرب العالم العربي ، وكذلك في مجلات أمريكية وأوروبية وآسيوية ...يمكن الإشارة إليها – بحسب الدول التي تصدر فيها- كما يلي : مصر (مجلات: منبر الإسلام ، الأزهر ، العلم ، العلم والحياة ، التدريب والمستقبل ، المواسير والصلب ، أكتوبر ، الأزهر والعلوم ، عالم الكتب ،

الإســلام وطــن ، المجاهد) . العراق (مجلات: علوم ، المورد)٠ الكويت (مجــلات: الوعــي الإسلامي ، الكويت ، المجرة ، العلوم ، عالم الفكر ، العربــي ، المجلــة العربية للعلوم الإنسانية ، التقدم العلمي ، الفرقان)٠ تونس (مجلات: المجلة العربية للعلوم ، المجلة العربية للبحوث التربوية، المجــلــة العربــية للــثقافة) ٠الأردن (مجلات : هدى الإسلام ، المجلة الثقافية للجامعة الأردنية ، الشريعة) . اليمن (مجلة الإرشاد) . السعودية (مجلات : المنهل ، الرابطة ، الدفاع ، الدعــوة ، الفيصل ، عالم الكتب ، رسالة المسجد ، الدارة ، المجلة العربية ، رسالة الخليج العربي ، البيئة والتنمــية) . قطــر (مجلة الأمة) . دبي (مجلات : الضياء ، المنتدى) . البحــرين (مجلات : الدفاع ، الهداية ، أفاق العلم والمجتمع) . أبو ظبي (مجلة منار الإســلام) . الشارقة (مجلات : دراسات ، كل الأسرة). لبنان (مجــلات : الفكر الإسلامي ، العلم والتكنولوجيا ، المعارج ، المنهاج) . المغــرب (مجلات : الإسلام اليوم ، المجــلة الإسلامية لرابطة الجامعات الإسلامية ، المشكاة) . ليبيا (مجلات : الناشر العــربي ، رسالة الجهاد). باكســتان (مجلــة الجمعــية التاريخــية) . الهــند (مجلات : الرابطة الإسلامية لتقدم العلوم ، آيات) . بلجيكا (مجلة عفاف) . فرنسا (مجلة أســماء) ٠ لكسمبورج (مجلة المسلم المعاصر) . النمسا (مجلة منبر الحوار) . قبرص (مجلات : أفاق علمية ، الشاهد ، الصفر) .

كمــا نشرت له العديد من المقالات والمقابلات والمشاركــات في تحقــيقــات صــحفية كثيرة ، في صحف تذكر منها في مصر : الأهرام ، الأهــرام المســائي ، الأخبار ، الجمهورية ، اللواء الإسلامي ، اللواء ، عقيدتــي ، صــوت الأزهــر ، الحقــيقــة ، العمال ، النور ٠ وفى قطر:

صـــحيفة الشـــرق . وفـــى دبي : جريدة البيان . وفى الكويت : جريدة الأنـــباء... وكذلـــك عـــرض وتحليل ما لا يقل عن (١٥٠) كتابا في المجـــالات الفكـــرية والثقافية والإسلامية المذكورة سابقا ، وتم نشر هذه العروض والتحليلات في كثير من المجلات المذكورة آنفا .

ثالثا : الأحاديث المسموعة والمرئية :

(١) أكـــثر من عشرين حديثا بإذاعة القرآن الكريم ، وإذاعة البرنامج العام بمصر(خلال الفترة ٨٩ – ١٩٩٣م) .

(٢) تســـجيل عـــدد من الحلقات في التراث العلمي العربي بتليفزيون الجمهورية العربية السورية (١٩٩٠م) .

(٣) تســـجيل عـــدد من الحلقات في برنامج (هذا خلق الله) بالقناة الثانية بالتليفزيون المصري (١٩٩٢م) .

(٤) تســـجيل عـــدد من الحلقات في برنامج (الإعجاز العلمي للقرآن والسنة) بالقناة الثالثة بالتليفزيون المصري (١٩٩٢م) .

(٥) تسجيل عدد من الحلقات باللغة الإنجليزية في برنامج تليفزيوني " Scientific revelations of the Holy Quran" للشـــركة الإسلاميـــة الدوليـــة للصوتيات والمرئيات بالقاهرة (١٩٩٢م).

(٦) تســـجيل عـــدد مـــن الحلقات التليفزيونية في الدعوة الإسلامية للجاليات العربية بأوروبا . تنفيذ شركة كنوز بالقاهرة (١٩٩٢م).

(٧) إعـــداد وتقديم (٩٠) حلقة تليفزيونية في برنامج خـــاص عنوانه (في رحاب الآيات الكونية) بالتليفزيون السعودي (١٩٩٤م) .

(٨) إعـداد بـرنامج كمبيوتر (المعجزة الخالدة) على اسطوانـات مضغـوطة ، تنفيـذ (شركة مروج) بالقاهرة (١٩٩٧م) .

(٩) إعـداد مجموعـة مـن الحلقات لبرنامج (رأيت الله) بقناة النيل الثقافـية ، التلـيفزيـون المصـري ، خلال الفترة (١٩٩٩ – ٢٠٠٠م).

رابعا : الكتب والموسوعات والقواميس المنشورة :

(١) الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث . دار الصحوة بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م .

(٢) أبعاد التكوين العقلي للفرد في الإسلام . دار الصحوة بالقاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٨م .

(٣) عجائـب العنكبوت – دراسة في القرآن والتراث والعلم الحديث . دار الصحوة بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

(٤) ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين . الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

(٥) جوانب مثيرة في حياة الحشرات . مكتبة ابن سينا بالقاهرة ، ط١، ١٩٨٩م .

(٦) جـولات فـي عـالم الحشرات . دار الصحـوة بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

(٧) اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة. مكتبة ابن سينا بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

(٨) جوانـــب مثيرة في حياة النبات . مكتبة ابن سينا بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م .

(٩) العقارب . مكتبة ابن سينا بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م .

(١٠) موســوعة " عجائــب ضــواري الماء والبراري " الجزء الأول : الثعالب والذئاب . دار الفكر العربي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(١١) الإشارات العلمية في القرآن الكريم – بين الدراسة والتطبيق . دار الفكــر العربي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(١٢) الاستنســاخ والإنجــاب بيــن تجريــب العلمــاء وتشريــع السمــاء. دار الفكر العربي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(١٣) القــاموس البيولوجــي (عشــرة آلاف مصطلح معرف تعريفــا وظيفيــا) . مكتبة ابن سينا بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(١٤) سلســلة كتب التمساح (للفتيــان) : صــدر منهــا حتــى الآن ١٥جــزء . دار الفكــر العربي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(١٥) سلســلة كتب النحلة (للفتيان) : صدر منها حتى الآن ١٥جزء . دار الفكر العربي بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(١٦) الإعجــاز العلمــي في القرآن والسنة – جهود وإنجازات مختلف الجهــات . سلسلة المشكاة (١) ، يصدرها المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بمصر ، ط ١ ، ١٤٢٥هـــ / ٢٠٠٤م.

خامسا : ترجمة المقالات والكتب والموسوعات :

(١) كــتاب " هــرمونات الحشرات " . تأليف : وجلزوورث . طبع ونشر أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجي بمصر ، ط١ ، ١٩٨٩م.

(٢) عـــدد مـــن المقالات المطولة لمجلة العلوم (الترجمة العربية لمجلة Scientific American) بالكويت .

(٣) المشـــاركة فـــي ترجمة أجزاء من " موسوعة الكتاب العالمي The World Book Encyclopedia" بالمملكـــة العربية السعودية ، تحت إشراف سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز .

(٤) كـــتاب " عجائـــب عـــالم الحشرات " . شركة سفير بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(٥) كتاب " السامات والشالكات ". شركة سفير بالقاهرة، ط١ ، ١٩٩٧م.

(٦) كتاب " كيف يطير الطائر؟ ". شركة سفير بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م.

(٧) كـــتاب " كيف يصنع النحل العسل؟ " . شركة سفير بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(٨) كتاب " الأبجدية والكتابة " . شركة سفير بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .

(٩) كـــتاب " مـــاذا يوجد تحت البحر؟ " . شركة سفير بالقاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

(١٠) كـــتاب " لماذا تبدو النمور مخططة ؟ " . شركة سفير بالقـــاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

(١١) عـــدد مـــن المقالات في مجلة " العلم والمجتمع " (وهى الترجمة العربـــية لمجلة (The Impact of Science on Society التي تصدرها منظمة اليونسكو .

***

الفهرس

***